

آليات التأويل:

جُسُورُ بَيْنَ إِشْرَاقَاتِ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ وَأُفُقِ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ

خالد اليعبودي

كلية الآداب – الرباط

khalid.elyaaboudi@flsh.um5.ac.ma

ملخص:

نُكْرِسُ هَذَا الْمَقَالَ لِفَهْمِ التَّأْوِيلِ، وَمُطَالَعَةِ الْمَصْطَلَحَاتِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ لَوْصِفِ الْعِلْمِ الَّذِي يَتَنَاوَلُ قَضَايَاهُ فِي الدِّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، وَنُسْتَهْدِفُ اسْتِكْشَافَ أَوْجِهَةِ التَّعَالُقِ بَيْنَ جُحُودِ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ فِي تَنَاوُلِ قَضَايَا التَّأْوِيلِ، وَعَرْضِ أَنْمَاطِهِ وَأَزْكَانِهِ وَاتِّجَاهَاتِهِ وَوُضَائِفِهِ وَفُيُودِهِ وَمَدَى ارْتِبَاطِهِ بِالْقَارِئِ، كَمَا سَنَنْظُرُ فِي الصُّوَابِطِ الْمُقَنَّتِ لِلْمُمَارَسَةِ التَّأْوِيلِيَّةِ بِبَعْضِ الدِّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتِلْكَ الَّتِي صَاعَهَا الْأُصُولِيُّونَ، الْمَرَاعِيَّةِ لَطَبِيعَةِ الْخِطَابِ الْمُؤَوَّلِ وَلِأَحْوَالِهِ وَلِطَبِيعَةِ الْمُؤَوَّلِ وَمَدَى انْسِجَامِ الْخِطَابِ. وَتَتَابَعِ دَرَجَاتِ انْفِتَاحِ الْقَوْلِ الصَّوْفِيِّ وَاتِّسَاعِ آفَاقِ التَّأْوِيلِ، وَالسُّبُلِ الَّتِي سَلَكَهَا بَعْضُ رِجَالِ التَّصَوُّفِ بِعَرْضِ تَقْنِينِ عَمَلِيَّاتِ التَّأْوِيلِ، كَمَا نَنْظُرُ فِي إِمْكَانِيَّةِ اسْتِثْمَارِ مُنْجَزَاتِ السَّلَفِ فِي مَيِّدَائِي الْأُصُولِ وَالتَّصَوُّفِ لِتَقْدِيمِ قِرَاءَةٍ لِلْمُقَارَبَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَالْمُتَضَارِبَةِ فِي مَوْضُوعِ التَّأْوِيلِ بِحَدَفِ تَقْيِيسِهَا.

- **الكلمات المفتاحية:** التَّأْوِيلِ، الْخِطَابِ، الصُّوَابِطِ، التَّقْنِينِ، الْمُتَقْنِي، الْمُتَلَقِّي.

Les mécanismes de l'interprétation : ponts entre les illuminations du patrimoine

arabo-islamique et l'horizon de la pensée occidentale

Khalid El yaboudi

khalid.elyaaboudi@flsh.um5.ac.ma

Résumé

Nous consacrons cet article à l'appréhension de l'interprétation et à l'examen des termes qui renvoient à la science chargée d'examiner ses questions au sein des études occidentales et arabes.

Nous mettons l'accent, dans cette étude sur l'exploration des modalités de relation entre les efforts des prédécesseurs et des successeurs dans le traitement des questions d'interprétation, ainsi qu'à la présentation de ses types, de ses fondements, de ses orientations, de ses fonctions, de ses contraintes et de son degré de lien avec le lecteur. Nous examinerons aussi les règles qui régissent la pratique interprétative dans certaines études occidentales, et celles que les fondamentalistes (usûlîyyîine) ont formulées, lesquelles prennent en considération la nature du discours interprété, ses états et la nature du commentateur, de même que le degré de cohérence

du discours. Nous suivrons enfin les amplitudes d'ouverture du discours mystique (soufi) et l'expansion des horizons de l'interprétation, ainsi que les voies qu'ont suivies quelques passeurs de la parole soufie, en vue de normaliser les procédures d'interprétation. Nous envisageons aussi de tirer parti de l'héritage des anciens en matière d'usûl et de soufisme pour proposer une lecture des approches occidentales diverses, parfois antagonistes, du phénomène de l'interprétation, en vue d'uniformiser ses critères méthodologiques.

Les termes clés : l'interprétation, le discours, les normes, la standardisation, l'énonciateur, le destinataire, le lecteur.

Mechanisms of Interpretation: Bridging the Illuminations of the Arabo-Islamic Heritage and the Horizon of Western Thought

Abstract

This article is devoted to the apprehension of interpretation and to an examination of the terms that refer to the science charged with investigating its questions within Western and Arab scholarship. This study emphasizes an exploration of the modes of relation between the efforts of predecessors and those of their successors in the treatment of interpretive problems, and to presenting its types, foundations, orientations, functions, constraints, and the extent of its connection to the reader. We will also examine the rules that govern interpretive practice in certain Western studies, and those formulated by the usûlīs (fundamentalists), which take into account the nature of the discourse under interpretation, its various states, and the nature of the interpreter, as well as the degree of coherence of the discourse. Finally, we will trace the ranges of openness in the mystical (Sufi) discourse and the widening horizons of interpretation, together with the paths followed by some transmitters of the Sufi word, with a view to standardizing interpretive procedures. We also intend to draw on the legacy of the ancients in the fields of usul and Sufism to offer a reading of the diverse, sometimes antagonistic, Western approaches to the phenomenon of interpretation, with a view to standardizing its methodological criteria.

Key terms: interpretation, discourse, norms, standardization, the enunciator, the addressee, the reader.

0-مدخل :

التأويل تأملٌ ذهنيٌّ يستهدفُ تفكيكَ دلالاتِ العلاماتِ والرموزِ واستكشافِ مقاصدها الباطنية. يتمُّ تحديدُ أوضاعِ التأويلِ في الأقوالِ العلمية والأدبية بالاستنادِ إلى زاويتين: تخصُّ الأولى المعنى، وتخصُّ الثانية المرجع. نطالعُ في الزاوية الأولى صعوبةَ الاهتداءِ إلى المعنى الأصلي (في حالةِ التسليمِ بمسكوكيةِ معانيه) لاسيما حينما تُصادفُ نماذجَ استعاريةٍ تنأى عن الدلالاتِ المألوفةِ للألفاظِ المرصودةِ بمُتونِ المعاجم والقواميس.

تَعَدَّدَتِ الرُّؤْيُ فِي شَأْنِ حَاصِيَاتِ التَّأْوِيلِ وَقُدْرَاتِهِ عَلَى اسْتِكْشَافِ الْمَضَامِينِ الْعَمِيقَةِ لِلنُّصُوصِ، مَا يَدْفَعُ إِلَى التَّسْأُولِ عَنْ إِمْكَانِيَّةِ الْجُمْعِ بَيْنَ مُتَصَوِّرَاتِ "الْهَيْمَنِيَّةِ" و"الْعَنَوِيَّةِ" وَأَقْطَابِ الْعُرْفَانِ بِالْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَوْضُوعِ رُؤْيَتِهِمْ لِلتَّأْوِيلِ مِنْ جِهَةٍ وَإِشْرَاقَاتِ النُّظَرِيَّاتِ الدَّلَالِيَّةِ الْحَدِيثَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فِيمَا يَتَّصِلُ بِالْمَوْضُوعِ، أَوِ الْقَوْلِ بِتَمَيُّزِ كُلِّ اتِّجَاهٍ بِرُؤْيَا خَاصَّةٍ وَمُتَمَيِّزَةٍ.

تَحِيطُ بِالْإِنْسَانِ ظَوَاهِرٌ تُعْتَبَرُ جُزْءًا مِنْ قَوَانِينِ الْكَوْنِ، أَبْرَزُهَا "ظَاهِرَةُ اللَّغَةِ" بِوَصْفِهَا نِتَاجًا وَاعِيًا قَصْدِيًّا يَتَطَلَّبُ قُرْءًا وَيَسْتَلْزِمُ إِعْمَالَ الدَّهْنِ بِمُمَارَسَةِ التَّأْوِيلِ لِإِدْرَاكِ أبعادِهِ وَالْإِحَاطَةِ بِجَمِيعِ زَوَايَاهِ. يَتَوَخَّى الْمُؤَوِّلُ مِنْ نَشَاطِهِ التَّأْوِيلِيَّ تَمَلُّكَ الْمَعْنَى بِشَكْلِ أَمِينٍ كَمَا هُوَ مَائِلٌ لَدَى الْمُؤَلِّفِ، بِإِطْلَالِ الْمَعْنَى الْخَاطِئَةِ وَاسْتِبْعَادِ الْمَعْنَى الْمَتَعَارِضَةِ الَّتِي قَدْ يُوحِي بِهَا النَّصُّ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ مُنْذَرِجًا ضِمْنَ عَوَالِمِ التَّخْيِيلِ، أَوْ مُرْتَبِطًا بِالْحَقُولِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَسْطُورِيَّةِ الْمُتَرَعَّةِ بِالْأَلْغَازِ. مِنْ أَبْرَزِ الْإِشْكَالَاتِ الْمُلِحَّةِ فِي الْمَوْضُوعِ:

- مَا الْمُرَادُ مِنْ مُصْطَلَحِ "التَّأْوِيلِ"؟ هَلْ هُوَ: "إِسْنَادٌ حُرٌّ وَذَاتِيٌّ لِدَلَالَةٍ مَا؟" أَمْ: "انْتِقَاءٌ عَقْلَانِيٌّ لِمَقْصِدٍ مُحَدَّدٍ ضِمْنَ مَقَاصِدِ شَيْءٍ؟" أَمْ مُجَرَّدٌ: "اجْتِهَادٌ فِي تَقْدِيمِ مَعْنَى جَدِيدٍ؟"

- هَلْ يَجُوزُ الْحَدِيثُ عَنْ "تَأْوِيلٍ مُقَيَّسٍ" قِيَاسًا عَلَى "الاصْطِلَاحِ الْمُقَيَّسِ"؟
- هَلْ ثَمَّةُ حَالَاتٍ يَصِحُّ الْكَشْفُ فِيهَا عَنْ مَعَالِمِ الْمَعْنَى دُونَ مَا حَاجَةٌ إِلَى تَأْوِيلٍ؟
- مَا فَوَائِدُ رَسْمِ 'خَارِطَةِ طَرِيقٍ' تُحَدِّدُ لِلْمُتَلَقِّيِّ بَدَايَاتِ التَّأْوِيلِ وَنَهَايَاتِهِ؟ هَلْ يُوجَدُ مَعْنَى أَصْلِيٌّ قَبْلِيٌّ خَارِجَ التَّأْوِيلِ؟ أَمْ أَنَّ التَّأْوِيلَ مُنْتِجُ الْمَعْنَى؟ فِي سِيَاقِ تَصَوُّرِ "نِيَتْسْCHE" (Nietzsche) الْقَائِلِ: "لَا وُجُودَ لَوَقَائِعٍ، كُلُّ مَا هُوَ مَوْجُودٌ هُوَ التَّأْوِيلَاتُ".
- هَلْ يَصِحُّ تَقْيِيدُ عَمَلِيَّاتِ التَّأْوِيلِ فِي نِطاقِ حُقُولٍ مُحَدَّدَةٍ سَلَفًا؟ أَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَابِلٌ لِلتَّأْوِيلِ؟ وَلَا وُجُودَ لِسُلْطَةٍ مُكَبَّلَةٍ لْجُمُوحِ النِّشَاطِ التَّأْوِيلِيِّ.

- أَلَا يَخْطُرُ الْمُؤَوِّلُ عَلَى نَفْسِهِ - بِالْإِشْرَافِ فِي التَّأْوِيلِ - مُمَاحَظَةُ مَفَاصِلِ الْقَوْلِ بِاعْتِبَارِهَا مَجْمُوعَةً مِنَ الْوَقَائِعِ تَتَطَلَّبُ التَّعْرِيفَ وَالتَّفْسِيرَ أَكْثَرَ مِمَّا تَتَطَلَّبُ التَّأْوِيلُ؟

- أَلَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ - فِي إِطَارِ الْأَطْرُوحَةِ السِّيَاقِيَّةِ - التَّمْيِيزُ فِي الْأَقْوَالِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ بَيْنَ مُسْتَوَى الْوَقَائِعِ الْقَابِلَةِ لِلتَّفْسِيرِ وَمُسْتَوَى الْعَلَامَاتِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ التَّأْوِيلَ؟ وَمَا دَوْرُ السِّيَاقِ فِي تَقْيِينِ عَدَدِ التَّأْوِيلَاتِ؟

- مَا مَوَاضِعُ الْقِرَاءَةِ وَإِجْرَاءُهَا الَّتِي تُمَكِّنُ الْمُتَلَقِّيَّ مِنْ تَحْدِيدِ الْمَعْنَى وَتَرْشِيحِهِ لِيَكُونَ مَقْبُولًا؟ وَمَا آلياتُ التَّخْرِيجِ الَّتِي تُحَفِّزُ الْمُتَلَقِّيَّ عَلَى التَّجْدِيدِ وَالتَّوَلُّيدِ؟ وَتَسْمَحُ بِتَطْوِيرِ إِمْكَانَاتِ التَّأْوِيلِ وَتَصْحِيحِ اتِّجَاهَاتِهِ؟

- هل مِنْ سَبِيلٍ إِلَى التَّسْلِيمِ بَعْدُ الرُّؤْيِ والتَّأْوِيلَاتِ دُونَ إِحْدَاثِ الْجَلْبَةِ وَالْفَوْضَى؟ وَهَلْ بِاسْتِطَاعَةِ الْمُتَلَقِّي أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي الْقَوْلِ الْأَصْلِيِّ بِتَحْوِيلِ الْفَوْضَى إِلَى نِظَامٍ؟

- هَلْ يَصِحُّ اسْتِثْمَارُ مُنْجَزَاتِ السَّلَفِ فِي مِيدَانِي الْأَصُولِ وَالتَّصَوُّفِ فِي تَقْدِيمِ قِرَاءَةِ لِمُقَارِبَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَالْمُتَضَارِبَةِ فِي مَوْضُوعِ التَّأْوِيلِ بِخِلَافِ تَقْنِينِهَا؟ وَهَلْ تَنْحَصِرُ مُفْتَضِيَاتُ الْأَحْوَالِ فِي ثَلَاثِيَّةِ "الْقَوْلِ"، "الملقي"، "المتلقي" كَمَا حَدَّدَهَا "الشَّاطِئِي"؟ أَمْ تُمْتَدُّ لِتَشْمَلَ عَنَاصِرَ أُخْرَى؟

- هَلْ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ تَنْتُجَ عَنْ عَمَلِيَّةِ وَلَادَةِ الْقَارِئِ فَاجِعَةٌ مَوْتِ الْمُؤَلِّفِ؟ أَلَيْسَ بِالْإِمْكَانِ إِيجَادُ صِيغَةٍ تَوْفِيقِيَّةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ تَأْوِيلَاتِ الْقُرَّاءِ لِلنُّصُوصِ وَمَقَاصِدِ مُؤَلِّفِهَا؟

1- مكانة التأويل:

التأويلُ آليَّةٌ مِنْ آيَاتِ اسْتِكْشَافِ مَضَامِينِ نُصُوصٍ تَسْتَوْجِبُ إِعْمَالَ النَّظَرِ لِاسْتِجْلَاءِ أبعادِها الدَّلَالِيَّةِ الضَّمْنِيَّةِ. وَجَدَ التَّأْوِيلُ مَجَالَهُ التَّطْبِيقِيَّ الْخِصْبَ فِي النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ. افْتَقَى الدَّارِسُونَ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ أَثَرَ الْأَسْلَافِ بِأَنْ بَوَّأُوا هَذَا الْمَفْهُومَ الْمَكَانَةَ الْعُلْيَا، فَتَعَدَّدَتْ الرُّؤْيُ فِي تَحْدِيدِ مَجَالَاتِهِ التَّطْبِيقِيَّةِ، وَتَبَايَنَتْ الْمَوَاقِفُ فِي وَصْلِهِ بِالْمَفْهُومِ الْوَافِدِ: "الهِرْمِينُوطِيْقَا". فَهَنَّاكَ مَنْ قَابَلَ هَذَا الْمَفْهُومَ بِاصْطِلَاحِ "التَّأْوِيلِيَّةِ" (مرتاض (2000)، ص: 263-264) أَوْ "التَّأْوِيلِيَّاتِ" (طه عبد الرحمن (1995)، ص: 38)، وَهَنَّاكَ مَنْ حَرَصَ عَلَى الْإِحْقَاقِ لَفْظِ دَالٍّ عَلَى الْعِلْمِيَّةِ أَوْ الْفَنِّيَّةِ، مِنْ ذَلِكَ: "نَظَرِيَّةُ التَّأْوِيلِ" (ناصر (2000)، ص: 21-22)، وَ"عِلْمُ التَّأْوِيلِ" (بن عياد (1998)، صص: 8-9) وَ"فُنُّ التَّأْوِيلِ" (الزين (2002)، ص: 29-30)، بِقَصْدِ الْإِحَالَةِ عَلَى الْبُعْدِ النَّظَرِيِّ الْمُتَضَمِّنِ بِالْمَفْهُومِ.

لَا شَكَّ أَنَّ الْمَسَائِلَ الَّتِي يَسْلُكُهَا الْمُصْطَلَحُ فِي طَرِيقِهِ لِتَحْقِيقِ أَقْصَى دَرَجَاتِ التَّجَرُّدِ تَدْفَعُنَا دَفْعًا لِرَتْرَاشِ الْاسْتِغْمَالِ الْأَوَّلِ [:"تَأْوِيلِيَّةٌ"]، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي صِيَاغَةِ "مُصْطَلَحِيَّةٍ" مُقَابِلًا ل: "Terminologie"/"Terminology" وَ"مُعْجَمِيَّةٍ" مُقَابِلًا ل: "Lexicologie"/"Lexicology" بِالنَّظَرِ إِلَى تَضَمُّنِ اللَّاحِقَتَيْنِ: "logie"/"logy" مَعْنَى الْعِلْمِيَّةِ وَالْبُعْدِ التَّخَصُّصِيِّ.

يُشَكِّلُ التَّأْوِيلُ بُورَةً أَسَاسِيَّةً فِي "الهِرْمِينُوطِيْقَا" بِمُخْتَلَفِ الْعُصُورِ، بَيَدَ أَنَّهَا افْتَصَّرَتْ فِي مَرَاكِلِ مُتَقَدِّمَةٍ عَلَى تَأْوِيلِ النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ وَالْمُقَدَّسَةِ فِي حِينِ شَمِلَتْ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ كُلَّ النُّصُوصِ بَلْ عَمِمَتْ آليَّةُ التَّأْوِيلِ لِتَعْمَ مُخْتَلَفِ الْأَفْعَالِ وَالْعَلَامَاتِ. غَيْرُ حَفِيٍّ أَنْ الشَّاطِطَ التَّأْوِيلِيَّ قَدِيمٌ قَدِيمٌ التَّفَكُّيرِ، أَفَادَ قَدِيمًا تَقْلِيصَ مَسَافَةِ زَمَنِيَّةٍ أَوْ لُغَوِيَّةٍ مَا نُجَاهَ الْمَعْنَى. تَضَاعَفَتْ أَهْمِيَّتُهُ بِزُيُولِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَوُضِعَ التَّشْرِيعَاتِ وَالِدَّسَاتِيرِ الْوَضْعِيَّةِ بِمَا افْتَضَتْ مِنْ إِعْمَالٍ لِلْفِكْرِ بِعَرَضِ الْكَشْفِ عَنْ مَقَاصِدِهَا الْحَقِيقِيَّةِ الثَّائِيَّةِ وَرَاءَ السُّطُورِ

وَاسْتِنْبَاطِ الْعَائِبِ مِنَ الشَّاهِدِ وَالْمُرَكَّبِ مِنَ الْبَسِيطِ وَالْوَاضِحِ مِنَ الْحَقِيقِ الْمُسْتَتَرِّ. وَقَدْ تَوَسَّلَ أَهْلُ الْبَاطِنِ بِآلِيَاتِ الْكَشْفِ وَالتَّحْقِيقِ لِمُمَارَسَةِ النِّشَاطِ التَّأْوِيلِيِّ (زيدان (1998)، ص 221-222). إِنَّ انْغِلَاقَ الْمَعْنَى وَتَعَالِيهِ يَدْعُو إِلَى تَفَادِي صُدُودِهِ بِاللُّجُوءِ إِلَى التَّأْوِيلِ.

ارْتَكَزَتْ عَمَلِيَّةُ تَأْوِيلِ التَّوْرَةِ عِنْدَ الشُّرَاحِ الْعَرَبِيِّينَ عَلَى رَكَائِزٍ ثَلَاثَةٍ: اسْتِخْرَاجِ الْمَعْنَى الْحَرْفِيَّةِ، فَالْمَعْنَى النَّفْسِيَّةِ، فَالْمَعْنَى الرُّوحِيَّةِ (الرمزي) الَّذِي لَا يَتَأَتَّى إِلَّا بِطَرِيقِ الْإِطْلَاقِ عَلَيْهِ سِوَى لِفَقَةٍ مَخْصُوصَةٍ تَحْطَى بِصِفَةِ التَّبَشِيرِيَّةِ، وَهُوَ جَوْهَرُ "الْمَعْنَى الْمَجَازِيَّةِ الْعَمِيقِ" الَّذِي بَنَتْهُ الْعَالَمُ الْيُونَانِيُّ الْأِسْكَانْدَرَانِيُّ "أُورِيجِنْ" (Origène) (175 م / 253 م) فِي كِتَابِهِ: "الْمَبَادِي" (Girod (1970)). أَضَافَ "جَان كَاسِيَان" (Jean Cassien) (360م/445 م) بُعْدًا رَابِعًا يُخَصُّ الْمَعْنَى الْأَخْلَاقِيَّةَ، يَجْمَعُ بَيْنَ تَكَالِيفِ الشَّرْعِ وَسُلُوكِ الْمُؤْمِنِ الْحَرِيسِ عَلَى تَهْدِيدِ النَّفْسِ مِنَ الشَّوَائِبِ (Weill (2013), pp : 48-50). ذَلِكَ مَا عُرِفَ بِ"مَعَانِي الْكِتَابَةِ الْأَرْبَعَةِ"، وَقَدْ كَانَ دَوْرُهَا حَاسِمًا فِي بُرُوزِ نَظَرِيَّةٍ عَامَّةٍ فِي التَّأْوِيلِ بِعَصْرِنَا الْحَدِيثِ.

اِكْتَسَبَ مُصْطَلَحُ "التَّأْوِيلِ" مَعْنَى جَدِيدًا مَعَ الْمُحَدِّثِينَ، إِذْ عُدَّ مَعَ 'دِلْتَايْ': وَضْعُ قَوَاعِدِ كُلِّيَّةٍ تُخَصُّ فَهْمَ النُّصُوصِ بِالتَّحْكِيمِ بَيْنَ التَّأْوِيلَاتِ لِإِتْقَانِ أَرْجَحَتِهَا، وَإِعْلَاءِ التَّفْسِيرِ (exégèse) إِلَى مُسْتَوَى الْعِلْمِ (ص: 777; Gisel, P (1970)). اِزْدَادَتْ رَحَابَةُ مَفْهُومِ التَّأْوِيلِ بِعَدَمِ حَصْرِهِ فِي وَضْعِ قَوَاعِدِ فَهْمِ النُّصُوصِ عَلَى أَثَرِ التَّحْوِيلِ الَّذِي أَجْرَاهُ 'هَائِدِغَر' (Heidegger) مِنَ الْإِبِسْتِمُولُوجِيَا إِلَى الْأَنْطُولُوجِيَا. (ص: 10; Ricœur (1969)).

تَتِمَّتْ دَوَاعِي التَّأْوِيلِ فِي تَعَدُّدِ أَوْجِهَةِ الْحَقِيقَةِ لِتَعَدُّدِ أبعادِ الْوُجُودِ وَتَضَارُبِ الْأَفْهَامِ. إِنَّ الْمَوْزُولَ مُلْزَمٌ بِاخْتِرَاقِ سِيَاحِ النَّصِّ اللَّغَوِيِّ لِإِزْبَاتِ الْفَهْمِ بِالْوُجُودِ وَبِغَايَاتِهِ. يَدْفَعُ الْبَحْثُ عَنِ الْمَعْنَى الْمُتَلَفِّيِّ إِلَى عَوَالِمٍ مُتَجَدِّدَةٍ بِاسْتِمْرَارٍ، لِذَلِكَ مِنَ الْخَطَلِ أَنْ نَعْتَبِرَ أَنْفُسَنَا أَحَقَّ بِفَهْمِ نَصِّ مُعَاَصِرٍ وَاسْتِكْشَافِ حَقَائِقِهِ مِنْ مُؤَوَّلِي عَصُورٍ سَابِقَةٍ أَوْ لِاحِقَةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلَيْنِ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، فَالْلُّغَةُ الْأَيْقُونِيَّةُ ذَاهَا لَا تَسْتَطِيعُ اسْتِيعَادَ التَّأْوِيلِ.

لَا أَدَلَّ عَلَى مَخْوَفَةِ مَفْهُومِ التَّأْوِيلِ أَنَّهُ عُدَا غُنُصْرًا مِنْ عُنَاصِرِ الْخِطَابِ. وَقَدْ سَبَقَ لِلْأُصُولِيِّينَ أَنْ اعْتَبَرُوا التَّأْوِيلَ آليَةً مِنْ آلِيَّاتِ الْأِسْتِدْلَالِ الْخَطَائِيَّةِ، سَيَعُودُ هَذَا الْأَمْتِزَاجُ إِلَى الْوَاجِهَةِ بِالْعَصْرِ الْحَدِيثِ، فَقَدْ أَخَذَ الْبَاحِثُ 'بُول رِيكُور' عَلَى غَاتِقِهِ مُهِمَّةَ إِنْقَازِ الْخِطَابِ مِنْ مَنَافِئِ الْهَامِشِيِّ وَالْمُضْطَرِّبِ بِسَبَبِ تَرْكِيزِ الْبَحْثِ الْلسَانِيِّ لِعُقُودِ زَمَنِيَّةٍ عَلَى ثُنَائِيَّةِ الْبِنْيَةِ وَالنَّسَقِيَّةِ. (ريكور (2006)، ص: 25).

2- اقتران التَّأْوِيلِ بِالْفَهْمِ:

لَا سَبِيلَ لِلتَّأْوِيلِ دُونَ فَهْمِهِ، وَلَا وُجُودَ لِلتَّأْوِيلِ مُنْعَلَقٍ، إِنَّ الْمُؤَوَّلَ قَارِئٌ مَسْئُولٌ يُسْأَلُ فِي صَوْنِ الْمَعْنَى، يُرْفَعُ الْعُمُوضُ عَنِ الْمَعْنَى بِاللَّحْوَءِ إِلَى مَعْبَرِ التَّأْوِيلِ الَّذِي يُسْأَلُ فِي تَحْدِيدِ الْمَرْجِعِ تَحْدِيدًا جَلِيًّا وَبِالنَّالِي يُقَرَّنَا مِنَ الْحَقِيقَةِ. يَنْشُدُ التَّأْوِيلُ تَحْوِيلَ الِاتِّحَادِ وَاللَّامَرْجِعِيَّ إِلَى تَحْدُودٍ وَمَرْجِعِيٍّ بِخَصَرٍ مَقْصُودِيَّةٍ الْمَلْفُوظِ أَوْ مَقْصِدِيَّةٍ الْمَحْصُورَةِ فِي تَحْوِيمٍ وَاقِعِيَّةٍ وَمَلْمُوسَةٍ.

اهْتَمَّ "غادامير" (Gadamer) بِإِمْكَانِيَّةِ تَحْقِيقِ الْفَهْمِ بِالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِعَضِّ النَّظَرِ عَنِ الْمَنْهَجِ الَّذِي أَوْلَاهُ أَسْتَاذُهُ "هايدغر" (Heidegger) عِنَايَةً فُصْوَى (Djaballah (2006), pp : 31-68). غَيْرَ أَنَّ تَأْوِيلِيَّةَ الْبَاحِثِينَ تَسْتَمِدُّ أُسُسَهَا مِنَ التَّوَجُّهِ الْفَلْسَفِيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِتَنَاحِرِ التَّأْوِيلَاتِ وَاسْتِعْصَاءِ إِيجَادِ تَفْسِيرٍ نَهَائِيٍّ وَخَاسِمٍ لِمُرَادِ الْمُؤَلِّفِ مَا أَسْهَمَ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى الْفَوْضَى وَالْمَتَاهَةِ، وَدَفَعَ بَعْضَ الْمُتَطَرِّينَ مِنْ أَمْثَالِ "ريكور" (Ricoeur) و"إيكو" (Eco) إِلَى إِبْرَازِ الْقَوَانِينِ الْقَائِمَةِ عَلَى قَوَاعِدَ دَقِيقَةٍ وَالْكَشْفِ عَنْ دَوْرِهَا فِي اسْتِبْعَادِ اللَّبْسِ وَسُوءِ الْفَهْمِ. وَسَرَى فِيمَا يَأْتِي رَأْيًا لِفَلَسَفَةِ اللُّغَةِ (خَاصَّةً "فَتْحُنْشْتَاين") يُؤْمِنُ أَنَّ لَا حَاجَةَ لِلِإِمْعَانِ فِي التَّأْوِيلِ فِي حَالِ تَحْقِيقِ الْفَهْمِ.

يَتَأَكَّدُ الْارْتِبَاطُ الْوَثِيقُ بَيْنَ عَنَاصِرِ ثَلَاثِيَّةِ "الْفَهْمِ وَالتَّفْسِيرِ فَالتَّأْوِيلِ"، ذَلِكَ أَنَّ 'الهيرمينوطيقا' (نظرية التأويل) نظريةً تَنْظُرُ فِي عَمَلِيَّاتِ الْفَهْمِ فِي عِلَاقَتِهَا مَعَ تَفْسِيرِ النُّصُوصِ (ريكور (2001)، ص: 58). يُعْتَبَرُ الشَّرْحُ وَسِيلَةً الْمُرْجِمِ لِلْفَهْمِ، كَمَا أَنَّ الْفَهْمَ يَتَّخِذُ مَعْبَرًا لَا غَى عَنْهُ يَتِمَثَّلُ فِي التَّأْوِيلِ. لَيْسَ الْفَهْمُ مِنْ زَاوِيَةِ مَعْرِفِيَّةٍ مُضَاعَفَةٍ لِلْمَعْنَى وَلَا اسْتِكْشَافِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْ طَرَفِ الْمُؤَلِّفِ إِنَّمَا هُوَ وَلِيدٌ قَدْحِ الْخِطَابِ فِي الْقَارِئِ مَجْمُوعَةً مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ الْإِدْرَاكِيَّةِ.

يَنْهَلُ الْمُؤَوَّلُ مِنَ الْآفَاقِ النَّظَرِيَّةِ لِلتَّأْوِيلِيَّةِ (الهيرمينوطيقا) ⁽¹⁾ فِي مُمَارَسَاتِهِ التَّطْبِيقِيَّةِ عَلَى الْمُتَوَنِّاتِ الَّتِي يَنْشُدُ رَفْعَ الْعُمُوضِ عَنْ مَفَاصِلِهَا، كَمَا يَنْهَلُ أَيْضًا مِنْ آفَاقِ الظَّاهِرَاتِيَّةِ. يَتَجَلَّى اشْتِرَاكُ التَّأْوِيلِيَّةِ وَالظَّاهِرَاتِيَّةِ فِي الْبُعْدِ التَّأْمَلِيِّ وَيُفَسَّرُ بِإِنْصِهَارِ تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِالْفِيلُولُوجِيَا التَّقْلِيدِيَّةِ السَّاهِرَةِ عَلَى تَحْقِيقِ النُّصُوصِ الْقَدِيمَةِ.

يُمْكِنُ التَّأْوِيلُ مِنْ إِعَادَةِ بِنَاءِ النَّصِّ بَعْدَ تَفْكِيكِ عَنَاصِرِهِ وَمَوَادِّهِ، فَيَسْمَحُ لَهُ أَنْ يَتَمَطَّهَرَ فِي أَذْهَانِ الْجُمْهُورِ الْمُتَلَقِّيِّ بِتَجَلِّيَّاتِ شَيْءٍ بَعِيدًا عَنْ ذَاتِيَّةِ الْمُتَلَقِّيِّ، فَلَا يَغْدُو الْمَعْنَى النَّائِيَّةُ كَذَلِكَ بِاسْتِحْضَارِ آلِيَةِ التَّأْوِيلِ. تَنْفَتِحُ أَبْوَابُ التَّأْوِيلِ عَلَى مَصَارِعِهَا مِنْذُ مِيلَادِ الْقَوْلِ وَاسْتِقْلَالِهِ عَنْ وَاضِعِهِ، وَكُلَّمَا ارْتَبَطَ الْقَوْلُ بِالْخِطَابِ الْمُتَدَاوِلِ أَزْدَادَتْ تَعَدُّدِيَّةُ إِمْكَانَاتِ التَّخْرِيجِ الدَّلَالِيِّ.

لَا شَكَّ أَنَّ تَعَاوُضَ نَتَائِجِ التَّأْوِيلِ بَيْنَ كُلِّ مُؤَوَّلٍ وَآخَرَ مِثْلُ اللَّتَعَارُضِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ 'إيزر' (Iser) بَيْنَ مَجْمُوعَتَيْنِ تَتَأَمَّلَانِ لَيْلًا نَفْسَ الْمَجْمُوعَةِ مِنَ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، لَا غَرَابَةَ فِي هَذَا الْاِخْتِلَافِ، فَهُوَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي نَظَرِ 'إيزر' وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْصَارِ التَّأْوِيلِ، بِمَا أَنَّ جَمِيعَ النُّصُوصِ تُخَزَّنُ فِي أَحْشَائِهَا "فَجَوَاتٍ" (أَوْ عَنَاصِرٍ تَفْتَقِدُ لِلتَّحْدِيدِ)، تَخْزِينٌ يَحْتُ الْقَارِئُ وَالْمُرْجِمُ عَلَى تَشْغِيلِ ذَهْنِهِ فِي صِبَاغَةِ

إبداعية لما يراه ملاً لهذه الفجوات، غير أن هناك حالات يصعب فيها رجحان معنى على آخر، كل ما هو مرجح هو حضور التأويل وحواريته. إن التأكيد على لا نهائية المعاني المستخلصة من النصوص لا يستلزم بالضرورة الجزم بأن كل تأويل يتوقف على عنصر الملاءمة (إيكو (2004)، ص: 19).

يُبرز "رولان بارث" (R, Barthes) ضرورة الاختلاف في التحليل النصي وتأويله من منطلق لا نهائية اللغة، ما يحتم النظر إلى النص بأنه شبكة مفتوحة (Zenetti (2011). كما نطالع نقد "جاك دريدا" للتصور البنيوي الداعي إلى الانغلاق باستدعاء زكي المراجع والسياق، وبانتقال الكثير من الدارسين من "البنية" (Structure) إلى "البنية" (Structuration) ومن "الدلالة" (Signification) إلى "الدلالة" (Signifiante) ومن "النص" (Texte) إلى "الناص" (Intertextualité). (Grondin (2011), pp:235-246)

شأن بين الغموض والانغلاق، ذلك أن المؤول يعالج المعاني الملعزة لا المعاني المكشوفة المطروحة في الطريق (Barthes (1963). كل ما يمكن الجزم به باعتباره واقعاً لغوياً: أن اللغة بقدر ما نجد بها الغموض وتعدّد الأبعاد بقدر ما تكون غنية بالرموز والاستعارات (إيكو (2004)، ص: 39). في هذا الصدد نخرج "المُشابهة" من نطاقه الأصولي المحصور فيما استأثر الله بعلمه (الشيرازي (1995)، ص: 29-31) إلى مفهوم أعم تندرج به المشابهات الصادرة عن منطوقات الإنسان.

يتمثل السؤال الأساس في: مدى وجود محطة نهائية في عمليات الكشف عن المعنى الحقيقي. ينفي أنصار التأويل اللانهائي من أتباع الهرمسية وجود هذه المحطة، فعملية الكشف عن سرّ ما، تحيل على سرّ آخر ضمن تصاعد موجّه نحو سرّ نهائي (إيكو، ن م، ص: 34). لم يجد الباحثون تفسيراً لهاته المغالاة سوى بالجزم بأن النزعة الهرمسية تنشّد قلب نواميس الكون بالشكل الذي حدّدته العقلانية الإغريقية، وبذلك تُترجم تمرّداً على جبروت التقنين والتفسير الأحادي، ودعوة لتشكيل علاقات مميزة غير مسبوق بين أفراد المجتمع تمكّنهم من الفعل في الطبيعة وتغيير مساراتها (Gadamer (1976), pp. 191-226). ما من شك أن عمليات التأويل اللانهائي تندرج ضمن خاتمة الترف التأويلي بإبقاء كل من المعنى والقارئ أسير حلقة دائرية لا تخرج منها. فالبحث عن المعنى الحقيقي - لدى أنصار لانهائية التأويل - لا يؤدي سوى إلى تغيير السرّ من موقع إلى آخر. من هنا يتأكّد أن فكرة 'بول فاليري' ("أن لا وجود لمعنى حقيقي للنص" (إيكو (2004)، ص: 37) ذات أصل هرمسي (ب). إن التسليم بلانهائية المعاني الممكن توليدها من الملفوظ داخل الخطاب يتناقض مع مبدأ ضرورة وضع معايير ضابطة ومقننة للتأويل (إيكو (2009)، ص: 41). لننظر بداية في المبادئ قبل الضوابط.

3- مبادئ "المقاربة التأويلية" في الفكر الغربي الحديث والمعاصر:

تَصْمَحُ في التَّأْوِيلِ ثقافتهُ تَرْسِيخُ المعاييرِ الثَّابِتَةِ وَتَتَأَسَّسُ ثقافتهُ جَدِيدَةً تَسْتَبِيدُ إلى "صِياغةِ حُدُودٍ تُنْشُدُ ضَبْطَ إمكانياتِ التَّأْوِيلِ لَدَى الْمُتَلَقِّي الذي يُراعي أَفقَ الحاضرِ علاوةً على الحُدُودِ التي يَفْرُضُهَا النَّصُّ" (Jauss (1988), pp : 366-367). صاعٌ "إيكو" عِدَّةَ مَبَادِيٍّ يُمْكِنُ رَوُّ فَعَالِيَّتِهَا في الممارساتِ التَّأْوِيلِيَّةِ، مِنْهَا:

- النَّصُّ فضاءٌ مُفْتَوِّحٌ، يُمْكِنُ لِلْمُؤَوَّلِ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْهُ مَجْمُوعَةً مِنَ الرُّوَاطِ اللَّاهُتِيَّةِ.
- اللُّغَةُ عاجِزَةٌ عَنِ تَحْصِيلِ دَلَالَةٍ أُحَادِيَّةٍ وَقَبْلِيَّةٍ، إِذْ تَنْحَصِرُ وَطِيفَةُ اللُّغَةِ في إمكانيَّةِ عَرْضِ التَّقَابُلِ بَيْنَ الْمُتَنَاقِضَاتِ.
- تُتَرْجَمُ اللُّغَةُ تَنَاقُصَ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ كَمَا تُتَرْجَمُ قُصُورُ الْمَرْءِ عَنْ إِدْرَاكِ الدَّلالاتِ (ت) السَّامِيَّةِ الْمُثَالِيَّةِ.
- حِينَمَا يَجْهَلُ الْكَاتِبُ مَا يُرِيدُ التَّعْبِيرَ عَنْهُ، تَنُوبُ اللُّغَةُ عَنْهُ فِي التَّعْبِيرِ (إيكو، (2004)، ص ص: 42-43).
- لَا سَبِيلَ إِلَى اعْتِمَادِ الْحَدْسِ فِي اسْتِكْشَافِ الْمَعْنَى الْأَقْرَبِ إِلَى مَقْصِدِ الْمَلْقِي (ت) (Trové (2010), PP : 495-509).
- يُسْنَهُمُ التَّنَاطُرُ (Isotopie) فِي تَرْجِيحِ مَعْنَى عَلَى آخَرَ، وَهُوَ: "مُتَوَالِيَةُ مَقُولَاتٍ دَلَالِيَّةٍ تُمَكِّنُنَا مِنْ قِرَاءَةِ النَّصِّ قِرَاءَةً يَطْبَعُهَا الْإِنْسِجَامُ" (Greimas (2012), P : 88) ، بِذَلِكَ يَضْطَلِعُ التَّنَاطُرُ بِوُظُفَةٍ تَرْجِيحِ عِبَارَةٍ "عَنْتَرَةُ ضِرْغَامٍ" بِدَلِّ "عَنْتَرَةُ غُورِيَلَا" (على سَبِيلِ التَّمْثِيلِ) مَعَ أَنَّ الْعِبَارَةَ الثَّانِيَّةَ جَامِعَةٌ لِلْمُسَمَّيَيْنِ فِي السَّوَادِ وَالْمَشْيِ عَلَى قَدَمَيْنِ، فَذُبُوحُ أَجْبَارِ فُرُوسِيَّةِ فَارِسِ بَنِي عَبَسٍ وَشَجَاعَتِهِ تُرْجَّحُ الْعِبَارَةُ الْأُولَى عَلَى الرَّغْمِ مِنْ اشْتِرَاكِ الْمُسَمَّيَيْنِ فِي صِفَةٍ وَاحِدَةٍ.
- لَيْسَ التَّأْوِيلُ وَرَقَةً يُخْرِجُهَا الْمُؤَوَّلُ مَتَى شَاءَ، بَلْ تُقَيِّدُهُ ضَوَابِطُ لَا يَمْلِكُ سُلْطَةً الْخُرُوجِ عَنْهَا ، تُقَدِّمُ فِيمَا يَلِي بَعْضَ مَزَالِقِ التَّأْوِيلِ قَبْلَ الْإِنْتِقَالِ لِعَرْضِ ضَوَابِطِهِ وَمُخْتَرَزَاتِهِ:

4- صُعُوبَاتُ التَّأْوِيلِ:

يُجَابِهِ الْمُؤَوَّلُ رَهَانَاتٍ كُلَّمَا أَقْبَلَ عَلَى التَّأْوِيلِ، مِنْهَا: التَّكَهُنُ بِمَا يَدُورُ بِحِلْدِ الْكَاتِبِ الْأَصْلِيِّ لِحَظَةِ تَحْرِيرِ النَّصِّ، مَعَ مُرَاعَاةِ الْأُنْسَاقِ النَّحْوِيَّةِ وَالْمُعْجَمِيَّةِ وَالِدَّلَالِيَّةِ لِلُّغَةِ.

لَا شَكَّ أَنَّ التَّقْيِيدَ بِحُدُودٍ مُعَيَّنَةٍ فِي التَّأْوِيلِ يَقِي الْمُؤَوَّلَ مِنْ زَلْلِ الْخُرُوجِ عَنْ مَقَاصِدِ الْمُؤَلِّفِ وَالنَّصِّ مَعًا، لَا تَخْتَلِفُ الْمَعَالَاةُ فِي التَّأْوِيلِ عَنِ الْمَعَالَاةِ فِي الْأَكْلِ، إِذْ يَتَرْتَّبُ عَنْهُمَا الْكَثِيرُ مِنَ الْأَسْقَامِ (اليعبودي (2018)، ص ص: 66-84). إِذَا كَانَ مِنَ الصَّعْبِ الْجُرْمُ بِصِحَّةِ تَأْوِيلٍ وَتَرْجِيحِهِ، فَالْأَيْسَرُ الْكَشْفُ عَنِ التَّأْوِيلِ الزَّيْدِيِّ (Eco (1990), PP: 384-385) لِإِنْزِاجِهِ عَنِ الْأَعْرَافِ الثَّقَافِيَّةِ الْمُحَدَّدَةِ لِضِفَافِ الْمَعَانِي الْخُتْمَلَةِ نَتِيجَةَ الْاسْتِنَادِ إِلَى ضَوَابِطِ تَقِي الْمُؤَوَّلَ مِنَ التَّيْهِ، بَلْ مِنَ الْمَقَارَفَةِ أَيْضًا بِعَرْضِ تَأْوِيلَاتٍ مُتَنَاقِضَةٍ.

تَتَوَرَّعُ نَظَرِيَّةُ التَّأْوِيلِ عَلَى أَطْرَافٍ ثَلَاثَةٍ تَضُمُّ الْمُؤَلِّفَ وَالنَّصَّ وَالْقَارِئَ (أَوْ بِالْأُخْرَى: الْمُؤَلِّقُ - الْقَوْلُ - الْمُتَلَقِّي - كما سَنُعَايِنُ فِيمَا يَأْتِي بِمُؤَافَقَاتِ الشَّاطِطِي)، وَلَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ نَفْيُ أَيِّ طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ هَذَا الثَّلَاثِيِّ مَا دَعَا "إِيكُو" إِلَى تَبَيُّ مَقُولَةٍ: "لَا إِفْرَاطَ وَلَا تَقْرِيطَ"، وَإِلَى ضَرُورَةِ تَحْقِيقِ تَأْلِيفٍ تَأْوِيلِيٍّ يَضُمُّ الْمَنْزِلَةَ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ (إِيكُو، (2004)، ص: 61). شَاعَ الْحَدِيثُ بِالْأَوْسَاطِ النَّقْدِيَّةِ طَوَالَ الْعُقُودِ الْمَاضِيَةِ عَنْ انْفِتَاحِ الْخِطَابِ، فَمَا الْمُرَادُ بِهَذَا الْمَفْهُومِ؟ وَمَا صِلَتُهُ بِالتَّأْوِيلِ؟

5- مَفْهُومُ "الانْفِتَاحِ" وَأَصُولُهُ الْمَعْرِفِيَّةُ:

يُفِيدُ انْفِتَاحُ الْخِطَابِ اسْتِقْلَالَهُ، وَإِمْكَانِيَّةَ بَلُورَةِ جُمُهورٍ يَضُمُّ أَصْنَافًا عِدَّةً مِنَ الْقُرَّاءِ، فَمَا الانْفِتَاحُ مِنْ مَنْظُورِ "إِمْبِرْتُو إِيكُو" سِوَى قَابِلِيَّةِ نَصٍّ لِلتَّأْوِيلِ، أَوْ بِالْأُخْرَى انْفِتَاحُهُ عَلَى التَّأْوِيلِ (إِيكُو (1996)، ص: 19).

يُسَكِّلُ الانْفِتَاحُ مُسَلِّمَةً آمَنَ بِهَا الْكُتَّابُ أَنْفُسَهُمْ، إِذْ سَبَقَ لَابِنِ عَرَبِيِّ (ت 638هـ/1240م) أَنْ دَعَا إِلَى التَّرْبُوتِ وَالتَّعَقُّلِ فِي تَلْقِي دِيَوَانِهِ "تَرْجُمَانُ الْأَشْوَاقِ" تَفَادِيًا لِتَأْوِيلٍ يُنَاقِشُ مَقْصِدَ الْكَاتِبِ (اليَعْبُودِي (2018)، ص ص: 75-85). كَمَا دَعَا قَبْلَهُ "دَانْتِي" (Dante) (ت 1321م) بـ "الكوميديا الإلهية" سَائِرَ الْقُرَّاءِ إِلَى وُجُوبِ الْكَشْفِ عَنِ الْمَعَانِي الْحَقِيقِيَّةِ غَيْرِ الْحَرْفِيَّةِ الدَّفِينَةِ.

نَفَقًا لِانْفِتَاحِ النَّصِّ عَلَى مُحْتَلَفِ التَّأْوِيلَاتِ يُمَيِّزُ "إِمْبِرْتُو إِيكُو" بَيْنَ مَفْهُومِي: "تَأْوِيلُ النَّصِّ" وَ"التَّوْظِيفُ الْخَاصُّ" لَهُ، ذَلِكَ أَنَّ الْمَفْهُومَ الْأَوَّلَ يُرَاعِي مُفْتَضِلَاتِ النَّصِّ وَيُنَاقِشُ عَنِ الْإِتِّعَادِ بِهِ إِلَى عَوَالِمٍ نَاشِئَةٍ بَيْنَمَا يُوْظَفُ الْمُتَلَقِّي الْمَفْهُومَ الثَّانِي لِيَتَلَاءَمَ مَعَ مَنْظُورِهِ الْأَحَادِيِّ فِي مُعَايِنَتِهِ لِأَجْزَاءِ الْقَوْلِ (إِيكُو، (1996)، ص: 85)، وَلِيَتَوَافَقَ مَعَ غَايَاتٍ خَاصَّةٍ، إِنَّهُ تَطَوُّعٌ قَسْرِيٌّ لِمَفَاصِلِ النَّصِّ مَا يَدْفَعُنَا إِلَى اسْتِخْصَارِ تَصَوُّرٍ "فوكو" (Foucault) الثَّانِي لِوُجُودِ نَصٍّ خَاضِعٍ لِلتَّأْوِيلِ، كُلُّ مَا هُنَاكَ تَأْوِيلٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ آخَرَ (فوكو (2008)، ص: 175). إِنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَ تَأْوِيلِ النَّصِّ وَتَوْظِيفِهِ تَوْظِيفًا خَاصًّا لَا يَنْشُرُ كَثِيرًا عَنِ الْفَصْلِ بَيْنَ التَّأْوِيلَيْنِ الْمَعْتَدِلِ وَالْمَقْرِطِ.

وَعَى الْكُتَّابُ مُنْذُ سَالِفِ الْأَزْمَنَةِ بِالْعَلَاqَةِ التَّفَاعُلِيَّةِ بَيْنَ الْخِطَابِ وَالْمُتَلَقِّيِّ وَأَمَّنُوا بِانْفِتَاحِ مَا يُنْتَجُونَ، فَنَحْنُ فِي مَجَالِ الْقَنِّ التَّشْكِيلِيِّ أَكْثَرُ 'أَفْلَاطُون' عَلَى عَدَمِ تَقْدِيمِ الرِّسَالَةِ شُحُوصَ لَوَحَاتِهِمْ بِشَكْلٍ وَاقِعِيٍّ وَإِنَّمَا مِنْ زَاوِيَةٍ نَظَرٍ مَنْ يُعَايِنُ هَاتِهِ اللَّوَحَاتِ (Verreault, 1998), pp: 541-565). بَلْ حَرَصَ بَعْضُ الْكُتَّابِ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى الانْفِتَاحِ مُؤَكِّدِينَ أَنَّ "كُلَّ حَالَةٍ وَعِيٍّ

تَمْلِكُ أَفْقًا يَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الْإِتِّبَاطَاتِ الَّتِي تُقِيمُهَا مَعَ الْحَالَاتِ الْأُخْرَى وَمَعَ مَرَاحِلِ تَطَوُّرِهَا الْخَاصَّةِ" (Husserl (1953), p: 39).

يُقْصَدُ مِنَ الْمَفْهُومِ "الانْفِتَاحِ" مُقْتَرَنًا بِمُصْطَلَحِ الْخِطَابِ: أَنَّ الْخِطَابَ يَكُونُ مَفْتُوحًا فِيَمَا يَتَّصِلُ بِنَهَائِيَّتِهِ وَنَاقِصًا فِيَمَا يَرْتَبِطُ بِأَهْدَافِهِ بِمَا يَتَطَلَّبُ مِنَ الْقَارِئِ الْقِيَامَ بِدَوْرِ الْوَسَاطَةِ بَيْنَ الْمُؤَلِّفِ وَالنَّصِّ، فَيَعْمَدُ إِلَى تَكْمِيلَةِ مَا ظَهَرَ نُقْصَانُهُ. لَا يَقْتَصِرُ تَوْظِيفُ الْمَفْهُومِ "الانْفِتَاحِ"

على مجالات اللغة، إذ استُحضِرَ 'إيكو' المفهوم مُنذُ خمسينات القرن الماضي (1958) في حقول إبداعية شتى تتجاوز الأدب (الموسيقى والتشكيل والعمارة). (Bianchi- Vassallo (2015), pp: 5-11)

إذا كانت البنيوية نشأت واكتملت في أحضان ترسانة من الأشكال والمثولات الصورية تستهدف الحد من سلطة المعنى وتقتنن انفتاحه وإقصاء المؤلف؛ فسرعان ما ثار الدارسون معترضين، وصار المعنى يُفقد مقصدين رئيسين يُرجحان الجدال القائم بين الحدث والمعنى، فهو في مقصده الأول: ما يعنيه الملقى، وما يقصده من كلامه. وفي مقصده الثاني: ما تُفيدة الجملة، ونتيج الاقتراح بين وظيفة تحديد الهوية ووظيفة الإسناد (ريكور، (2006)، ص: 39). بذلك يصبح المعنى في نفس الآن تعقلاً صورياً وتعقلاً مضمونياً خالصاً.

يتفاعل المؤلف مع مثيرات النصوص الأصلية التي ينشد إعادة صياغتها بعرض إدراك مجمل العلاقات المتضمنة بها، فيندُر الافتقاد في النص المؤلف إلى إحساسات المؤلف الشخصية وثقافته ودوره وأحكامه القبلية. لعل مراد الانفتاح غير المقصود للنصوص في مجالات الإبداع أنها تتشكل من علامات ورموز طابعها التعدد الدلالي خلافاً للعلامات المقتننة في الرياضيات أو في إشارات المرور أو رموز المورس.

شكل مفهوم "الانفتاح" ركيزة أساسية لنظرية جمال التلقي التي بلورها كلٌّ من 'هانس روبرت ياوس' (Hans Robert Jauss) و'ولفغانغ آيزر' (Wolfgang Iser) نهاية العقد السابع من القرن الماضي، كما تطوّر مفهوم الانفتاح ذاته في أعمال 'إيكو' المتأخّرة، التي يبرز بها دور القارئ ("المتلقي") المستنبط للمعاني، المتمعن في وجوهها ومقاصدها، المرحح لأولها بالترشيح بناءً على سياقها الخطابية والثقافية والاجتماعية (Gilli, (1983)). تتولد عن ثنائية الإنتاج والتلقي ثنائية جنيسة لها تعكس التفاعل بين الانتصار للنص أو الانتصار للقارئ. (Molino (1989), pp : 48-49).

لقد تمّ بالانفتاح على عوالم النص إقصاء المؤلف وإقصاء ذاتية القارئ ما ترجم دعوة إلى استقلالية النص المتجلية في مظهرات ثلاث:

° استقلالية عن قصد الملقى (المؤلف)

° استقلالية عن الوضع الثقافي والاجتماعي

° استقلالية عن المتلقي

تتجلى سلطة المؤلف في لجوئه إلى نزاع القول من السياق الذي أنتج فيه ليُعيد تنشئة سياقه في نشاط القراءة. وعلى الرغم من المراق التي ذكرناها تظل عملية التأويل نشاطاً ذهنياً لا يحلّو من متعة (ج)، بالنظر إلى مُعطى الانفتاح الذي أشرنا إليه. يتأكّد انفتاح المعنى

من تحديد "تودوروف" (Todorov) للنص، بوصفه: "نزهة يقوم فيها المؤلف برص الكلمات ليمتحنها المتلقي المعنى" (Ducrot & Todorov (1972), P:22). تحديد يُثبت زُبَيْقَةُ المعنى وَصُورَةُ التَّأْوِيلِ، لِكُونِهِ حَاصِلٌ نَشَاطٍ ذَهْنِيٍّ يُؤَوِّلُ الْمَلْفُوظَاتِ بِنَاءً عَلَى اِحْتِمَالَاتِهَا، وَمِنْ الْأَجْدَى أَنَّ نَتَمَثَّلَ الْمَعْنَى بِوَصْفِهِ أَثَرًا يَسْتَوْجِبُ الْاِفْتِنَاءَ بِدَلِّ اِعْتِبَارِهِ مَوْضُوعًا يَسْتَلِرُّمُ التَّحْدِيدَ. (Wolfgang Iser)

((1981-1985)). نَسَاءَلُ فِي هَذَا السِّبَاقِ: هَلْ يَصِحُّ التَّمْيِيزُ بَيْنَ أَنْمَاطِ تَأْوِيلِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ؟

6- أنماط التأويل وأركانها:

يُمَيِّزُ 'إيكو' فِي النَّشَاطِ التَّأْوِيلِيِّ بَيْنَ مُؤَوِّلٍ يَفْعَلُ بِعَرْفٍ قِطْعَةٍ مُوسِيقِيَّةٍ أَوْ تِلَاوَةٍ نَصِّ مَسْرُوحِيٍّ وَمُؤَوِّلٍ يَكْتَفِي بِالْإِنْصَاتِ بِالِاسْتِمَاعِ إِلَى الْمَعْرُوفَةِ أَوْ قِرَاءَةِ الْقَصِيدَةِ [يُسَمُّهُمُ الْمُؤَوِّلُ الْأَوَّلُ فِي إِعَادَةِ الْإِنْتِاجِ بَيْنَمَا يَكْتَفِي الثَّانِي بِالِاسْتِهْلَاكِ]، وَبِحُجُزِ التَّمْيِيزِ فِي النَّشَاطِ التَّأْوِيلِيِّ بَيْنَ وَضْعِ التَّمَاثُلَاتِ الْبَسِيطَةِ وَوَضْعِ التَّمَاثُلَاتِ الْمُتَمَرَّةِ الْخَصِيبَةِ، بَدَهِيٌّ أَنَّ النَّوْعَ الثَّانِيَّ يُسَمُّهُ فِي إِنتِاجِ التَّأْوِيلَاتِ الْقَادِرَةَ عَلَى اسْتِكْشَافِ بَوَاطِنِ الْأُمُورِ. (Jakobson (1963), p (38)). يُمْكِنُ أَنْ نُصِيفَ إِلَى تَصْنِيفِ "إِمْبِرْتُو إيكو" نَمَطَيْنِ تَأْوِيلِيَّيْنِ آخَرَيْنِ:

- تَأْوِيلٌ يَقُومُ عَلَى تَغْوِيضِ رُفُزٍ بَآخِرٍ لِرَجْمَةٍ مَلْفُوظَةٍ مُلْتَبِسٍ بِاللُّغَةِ الْعَامَّةِ.

- تَأْوِيلٌ لَا يَنْدَرِجُ ضِمْنَ عَمَلِيَّةِ الْفَهْمِ، إِنَّمَا هُوَ إِجْرَاءٌ يُخَصُّ تَرْجِيحَ مَعْنَى بَعْضِهِ فِي سِيَاقٍ تَوْضِيحِيٍّ.

نَقْتَرِضُ لِلتَّأْوِيلِ - مِنْ مُنْطَلَقِ التَّدَاخُلِ بَيْنَ وَظَائِفِ الْمُرْجِمِ وَالْقَارِئِ - أَرْبَعَةَ أَزْكَانٍ رَئِيسَةٍ: رُكْنُ الْمُبْدِعِ الْفِعْلِيِّ (الكَاتِبِ الْأَصْلِيِّ)، رُكْنُ الْمَعْرِفَةِ بِظَوَاهِرِ الْعَالَمِ، رُكْنُ الْوَسَائِلِ الْمَادِّيَّةِ لِلتَّعْبِيرِ، رُكْنُ إِعَادَةِ الصِّيَاغَةِ (La reformulation)، قِيَاسًا عَلَى تَحْدِيدِ "إِيرِل مَينِر" (Miner (1976) pp:25-27) أَرْبَعَةَ كِيَانَاتٍ لِعَمَلِيَّاتِ الْقِرَاءَةِ. تُفَسِّرُ الْأَرْكَانُ اِخْتِلَافَ تَرْجُمَاتِ الْأَثَرِ الْوَاحِدِ، لَا سِيَّمَا الرُّكْنُ الْأَخِيرُ الْمُرْتَبِطُ بِإِعَادَةِ الصِّيَاغَةِ، فَمَضَامِينُ الْمَلْفُوظَاتِ مُحْمَلَةٌ بِمَقَاصِدَ خَفِيَّةٍ لَا يَدَّعِي الْمُرْجِمُ مَعْرِفَتَهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، لِذَلِكَ يَرْمِي قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي عَمَلِيَّةِ النَّقْلِ إِعَادَةَ صِيَاغَتِهَا وَإِعَادَةَ تَشْكِيلِ مَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ أَحْدَاثٍ.

اِنْتِعَاشُ تَأْوِيلِ الْخِطَابِ بِاعْتِبَارِ مُتَزَايِدِ لِدَوْرِ "الْقَارِئِ":

يُخْفَوْتُ وَهَجَ الْمَنَاحِجِ النَّقْدِيَّةِ الَّتِي اسْتَلْهَمْتُ مَفَاهِيمَ النَّظَرِيَّاتِ الْبَنِيَوِيَّةِ الْمَقْرَظَةِ فِي شَكْلَانِيَّتِهَا تَضَاعَفَ الْاهْتِمَامُ بِمَفْهُومِي التَّأْوِيلِ وَالْقِرَاءَةِ، وَعَادَتْ آليَةُ التَّأْوِيلِ لِلْأَضْوَاءِ مِنْ جَدِيدٍ بِبُرُوعِ عِلْمِ التَّدَاوُلِيَّةِ بِوَصْفِهِ فَرْعًا مِنْ فُرُوعِ اللِّسَانِيَّاتِ. أَعَادَ النَّقْدُ الْحَدِيثُ الْاِعْتِبَارَ لِلْقَارِئِ وَلِلْجَمْهُورِ بَعْدَ إِهْمَالٍ اِمْتَدَّ زَمَنًا طَوِيلًا (إِلَى أَنْ غَدَا دَوْرُ الْقَارِئِ فِي النَّصِّ مُمَازِلًا لِدَوْرِ الشَّخْصِيَّةِ فِي الْعَمَلِ السَّرْدِيِّ، (سُلَيْمَانِ،

كروسمان (2007)، ص: 13). إنَّ الحاجة إلى تدخّل القارئ في مُعَايَنَةِ الْقَوْلِ وَاسْتِكْشَافِ مَعَالِمِهِ تَتَمَثَّلُ فِي ضَرُورَةِ تَعْطِيَةِ فَرَاقَاتٍ مَسْكُوتٍ عَنْهَا تُمَكِّنُهُ مِنْ اسْتِحْضَارِ الْأَبْعَادِ الدَّلَالِيَّةِ لِلْقَوْلِ بِاقْرَبِ مَنْظُورٍ وَرَدَ بِذِهْنِ الْمَلْقِي سَاعَةً تَدْوِينِ قَوْلِهِ.

انْبَعَثَ مَقْهُومُ التَّأْوِيلِ مِنْ مَنَافَاهِ مَعَ أَنْصَارِ نَظَرِيَّاتِ التَّلَقِّيِّ الَّتِي تُؤْمِنُ بِتَحَوُّلِ زَوَايَا الْفَهْمِ مِنْ مُحِيطِ الْكَاتِبِ وَالْمُنْتَجِ إِلَى الْفَضَائِاتِ النَّصِّيَّةِ وَجُمْهُورِ الْقُرَاءِ (Gilli, 1983). كَمَا انْتَقَلَتْ نَظَرِيَّةُ "الْحُلُولِ" مِنْ نِطَاقِهَا الْعُلُويِّ [حُلُولِ الْأَهْوَاتِ فِي النَّاسُوتِ وَالْعَكْسُ] إِلَى فَضَاءٍ آخَرَ يَفْتَحُ الْعَوَالِمَ السُّفْلِيَّةَ بِحُلُولِ الْمُؤَوَّلِ فِي أَذْهَانِ مُنْتَجِي النُّصُوصِ الْإِبْدَاعِيَّةِ.

يُلاحِظُ الْمُنْتَجِعُ تَصَاعُفَ دَرَجَاتِ التَّلَاحُمِ بَيْنَ الْمُؤَلِّفِ وَالْقَارِئِ (: الْمَلْقِي وَالْمَلْقَى) فِي سِيَاقِ عَمَلِيَّاتِ التَّشْفِيرِ (Encodage) وَقَلْبِ التَّشْفِيرِ (Décodage)، تَوَلَّدَ عَنْ هَذَا الثَّنَائِيِّ ثَنَائِيٌّ آخَرٌ أَصْبَحَ يُشَكِّلُ ظِلًّا يَعْكِسُ مِثَالِيَّةً مُنْشَوْدَةً، يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِـ "الْمُؤَلِّفِ الضَّمْنِيِّ" وَ"القارئ الضمّني".

نُتَسَّبُ الْقِيَمِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ - الَّتِي تُشَكِّلُ أَسَاسَ مَعْنَى عَمَلٍ مَا وَتُحَدِّدُهُ جَوْهَرِيًّا- إِلَى "الْمُؤَلِّفِ الضَّمْنِيِّ" الَّذِي حَدَدَهُ 'واين بوث' (Wayne Boot) بِوصْفِهِ "ذَاتًا ثَانِيَّةً" لِلْمُؤَلِّفِ الْفِعْلِيِّ: أَيْ الْحُضُورَ الْمُضَلَّلَ وَلَكِنْ الطَّاعِيَّ وَالْمَسْئُولَ عَنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ

الْعَمَلِ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ صُورَتُهُ مُتَشَكِّلَةً (أَوْ بِالْأُخْرَى مُعَادًا تُشَكِّلُهَا) فِي فِعْلِ الْقِرَاءَةِ (. Booth , Al., (2008), p: 336 " نظيرُ الْمُؤَلِّفِ الضَّمْنِيِّ فِي الْمَخْطُوطِ السَّابِقِ : "القارئ الضمّني"، فَمِثْلَمَا يَخْتَلِفُ الْمُؤَلِّفُ الضَّمْنِيُّ عَنِ الْمُؤَلِّفِ الْفِعْلِيِّ فِي أَنَّهُ مَوْجُودٌ فَقَطُّ فِي عَمَلٍ مُعَيَّنٍ، وَيُسَاوِيهِ فِي الْإِمْتِدَادِ، كَذَلِكَ يَخْتَلِفُ الْقَارِئُ الضَّمْنِيُّ عَنِ الْقَارِئِ الْفِعْلِيِّ فِي أَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي يُكُونُهُ كَمَا أَنَّهُ يُؤَدِّي - بِمَعْنَى مَا- وَظِيفَةً مُؤَوَّلٍ مِثَالِيٍّ لِلْعَمَلِ، يُمَكِّنُ لِقَارِئٍ فِعْلِيٍّ أَنْ يَفْهَمَ الْعَمَلَ عَلَى نَحْوٍ مَضْبُوطٍ وَأَنْ يُقَدِّرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ.

يُعَبِّرُ النُّقَادُ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى إِخْضَاعِ الْعَقْلِ وَالْفُؤَادِ مَعًا لِلْأَثَرِ بِعَرَضِ الْاسْتِمْتَاعِ بِهِ كُلِّيًّا، فَاَلْمُؤَلِّفُ يُكُونُ قَارِئَهُ كَمَا يُكُونُ ذَاتَهُ الثَّانِيَّةَ، وَالْقِرَاءَةُ النَّاجِحَةُ هِيَ الَّتِي يُمَكِّنُ فِيهَا لِلْمُؤَلِّفِ وَالْقَارِئِ أَنْ يَتَوَافَقَا تَمَامَ التَّوَافُقِ (Deschamps (2004), pp : 9-24).

غَيْرَ أَنَّنَا نَعْتَبِرُهُ هَدَفًا بَعِيدَ الْمَنَالِ سِوَاءَ كَانَ الْقَارِئُ مُتَرَجِّمًا أَوْ مُجَرَّدَ مُطَّلِعٍ عَلَى مَضْمُونِ الْقَوْلِ فِي نِطَاقِ نَفْسِ اللَّغَةِ، لَا سِيَّمَا حِينَمَا يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِلُغَةٍ اسْتِعَارِيَّةٍ أَوْ كِنَائِيَّةٍ. إِنَّ قِرَاءَةَ تَأْوِيلِيَّةً نَاجِحَةً تَتَطَلَّبُ تَحْدِيدًا دَقِيقًا لِقِيَمِ الْقَارِئِ الضَّمْنِيِّ وَمُعْتَقَدَاتِهِ - الَّتِي تُعَدُّ أَيْضًا قِيَمِ الْمُؤَلِّفِ الضَّمْنِيِّ وَمُعْتَقَدَاتِهِ- كَمَا تَتَطَلَّبُ تَمَاهِيًا بَيْنَ الْقَارِئِ الضَّمْنِيِّ وَقِيَمِهِ يَصِلُ إِلَى حَدِّ التَّطَابُقِ التَّامِّ: شُرُوطُ تَكَادُ تَبْلُغُ فِي

مِثَالِيَّتِهَا مِثَالِيَّةً مُوَاصَفَاتِ الْعَوَالِمِ الْمُتَخَيَّلَةِ لِأَفْلَاطُونٍ وَالْفَارَابِيِّ فِي "الْجُمْهُورِيَّةِ" وَ"الْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ".

كُلُّ مَا يُمكنُ الْجَزْمُ بِصِحَّتِهِ اخْتِلَافُ الْقِرَاءَةِ بَيْنَ اللَّغَةِ الْاَعْتِيَادِيَّةِ وَاللَّغَةِ الشَّعْرِيَّةِ، إِذْ يَشْهَدُ فِعْلُ الْقِرَاءَةِ عَلَى أَنَّ الْمَلْمَحَ الْأَسَاسِيَّ لِلَّغَةِ الشَّعْرِيَّةِ لَيْسَ انْصِهَارُ الْمَعْنَى مَعَ الصَّوْتِ، إِنَّمَا انْصِهَارُ الْمَعْنَى مَعَ حَشْدٍ مِنَ الصُّوَرِ الْمُسْتَخْصَرَةِ أَوْ الْمُسْتَشَارَةِ، انْصِهَارٌ يُشَكِّلُ حَتْمًا الْأَيْقُونَةَ الْحَقِيقِيَّةَ لِلْمَعْنَى (Iconicity of sense) (Hester (1967)).

لَا جَالَ لِنَفْيِ مُعْطَى انْتِعَاشِ الْبَحْثِ التَّأْوِيلِيِّ بِظُهُورِ نَظَرِيَّةِ التَّلَقِّيِ الَّتِي لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى اسْتِكْشَافِ الْمَعَانِي، إِنَّمَا اسْتَهْدَفَتْ أُسَاسًا الْبَحْثَ فِي طُرُقِ تَشَكُّلِهَا وَمُخْتَلَفِ الْاِحْتِمَالَاتِ الْمُمْكِنَةِ فِي إِدْرَاكِهَا، عَلَى غِرَارِ اهْتِمَامِ اللِّسَانِيَّاتِ الْإِدْرَاكِيَّةِ بِطُرُقِ اسْتِغَالِ اللَّغَةِ فِي الذِّهْنِ الْبَشَرِيِّ. إِنَّ الْإِمْعَانَ فِي التَّأْوِيلِ بِالتَّنْقِيبِ عَنْ حَبَايَا مَلْفُوظَاتِ النَّصِّ الْإِبْدَاعِيِّ يَسْتَلْزِمُ انْتِفَاءَ قَصْدِيَّةِ الْمُؤَلِّفِ الْوَاعِيَةِ. فَلَمْ يَغْضُ دَوْرُ الْمُؤَوَّلِ مُقْتَصِرًا عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَعَانِي التَّامَّةِ لِلْمَوْضُوعَاتِ الْوَارِدَةِ بِالنُّصُوصِ الْأَصْلِيَّةِ، وَإِنَّمَا يَشْمَلُ أَيْضًا الْبَحْثَ فِي كَيْفِيَّاتِ تَشَكُّلِ الْمَعْنَى وَسُبُلِ ذَلِكَ (Barthes (1964), p: 218).

يَقْتَضِي الْإِلْمَامُ بِأَوَّلِيَّاتِ الْعَمَلِ التَّأْوِيلِيِّ دِرَاسَةَ كَيْفِيَّةِ إِتْجَاحِ النَّصِّ وَكَيْفِيَّةِ إِسْهَامِ تَوْلِيدِ قِرَاءَةٍ لَهُ فِي تَبَيُّنِ مَسَارَاتِ تَكْوِينِ بِنْيَاتِهِ. إِنَّ اسْتِكْشَافَ الْأَبْعَادِ الدَّلَالِيَّةِ لِلْمَلْفُوظَاتِ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى رَصْدِ نَتَائِجِ تَحْلِيلِهَا النَّحْوِيِّ وَالْمُعْجَمِيِّ، إِنَّمَا يَقْتَضِي بِالْأَسَاسِ "مَسَارَاتٍ إِشَارِيَّةً، وَأَفْعَالًا قَصْدِيَّةً وَاقْتِضَاءَاتٍ مُتَنَوِّعَةً" (إيكو (1996)، ص: 16). كَمَا مَيَّزْنَا بَيْنَ أَنْمَاطٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ التَّأْوِيلِ، يُمكنُ الْفَصْلُ أَيْضًا بَيْنَ مَسَارَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي الْمَارَسَةِ التَّأْوِيلِيَّةِ.

7-اتِّجَاهَاتُ الدِّرَاسَاتِ التَّأْوِيلِيَّةِ الْحَدِيثَةِ:

عَرَفَ النَّشَاطُ التَّأْوِيلِيُّ حَدِيثًا - كَمَا هُوَ حَالُ الْكَثِيرِ مِنَ الظُّوَاهِرِ التَّحْلِيلِيَّةِ النَّقْدِيَّةِ - تِيَارَاتٍ مُتَعَدِّدَةً، أَهْمُهَا:

- تِيَارُ التَّأْوِيلِ الْمَوْضُوعِيِّ: يَسْتَهْدَفُ تَخْلِصَ النَّشَاطِ التَّأْوِيلِيِّ مِنْ بَرَاثِنِ الذَّاتِيَّةِ وَمُخْتَلَفَاتِ الرُّومَانْسِيَّةِ، مِنْ زُوَادِ هَذَا الْإِتِّجَاهِ: 'شَلَايَرْمَاخِر' (Schleiermacher)، 'دِلْتَاي' (Dilthey)، 'إِمِيلُو بِيَّتِي' (Emilio Betti).

- تِيَارُ التَّأْوِيلِ الْمَفْتُوحِ (أَوْ الْاِنْفِتَاحِ فِي التَّأْوِيلِ): يُؤْمِنُ بِتَعَدُّرِ وَقُوفِ عَمَلِيَّةِ التَّأْوِيلِ فِي مَحَطَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، إِنَّمَا النَّشَاطُ التَّأْوِيلِيُّ نَشَاطٌ مُسْتَمَرٌّ، تَتِمَثَّلُ أُصُولُ هَذَا التِّيَارِ فِي آرَاءِ 'نِيَتْسْشِه' (Nietzsche) (Nietzsche (1969, 1975), p: 175)، وَمِنْ أَنْصَارِ هَذَا التَّوَجُّهِ: 'هَايْدِغَر' (Heidegger) وَ'غَادَامِر' (Gadamer) (Risser, (1997), 134-138).

نُشِيرُ فِي سِيَاقِ دِفَاعِ 'آيزِر' عَنْ أَعْمَالٍ إِبْدَاعِيَّةٍ تَتَصِفُ بـ "الْاِتِّحَادِ" (Iser, 1980) مِثْلَ كِتَابَاتِ 'جُونِس' وَ'بِيكِيْت' إِلَى وُجُودِ أَعْمَالٍ تَتَصِفُ بِنَفْسِ الْمُواصَفَاتِ لِأَرْبَابِ الْأَذْوَاقِ وَأَهْلِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْمُصَوِّفَةِ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ اصْطِلَاحَاتٍ ذَاتَ أَفْقٍ وَاسِعٍ يُرْجَبُ بِتَأْوِيلِيَّةِ الْقَارِئِ (اليعبودي (2014)).

يؤكد الناقد 'سلاطوف' (Slatoff, 1970, p:21) أن القراءة لا تتكشف للمؤول سوى بتمثل زمان النص وفضاءه نتيجة اختلاف أفق التوقعات من عصر إلى آخر ومن مترجم إلى آخر، لذلك يُسند الناقد 'ياؤس' (H, R, Jauss) مهمة رئيسة للباحث في مسارات التلقي تتمثل في إعادة بناء أفق التوقعات باستثمار كل المعطيات الخارجية والداخلية، من هنا تتضح علل تبائن التأويلات بين السبل القديمة والحديثة في فهم عمل ما (Kalinowski 1997, p p :151-152)، ما يُحتّم استحضار الفيود.

8- ضرورة تفنين عملية التأويل:

يقبل المؤولون بحماس على النشاط التأويلي لما يُسببه من متعة في البحث عن أغوار المجهول، بينما يُحذّر منه آخرون إذا تعلّق بصوص مقدّسة، إذ ينتج عن المغالاة في التأويل تحريف المعنى، أو تحريج يخالف -عن قصد- المرامي المباشرة للنص المؤول. إنّها الدوافع التي حثّت الدارسين قديماً وحديثاً إلى سنّ ضوابط للتأويل. يُعابن المنتبّع تميّز هذا العصر باحتدام الجدال في أحقية المتلقي اختيار التأويل الذي يروق له، ويعتبره الأنسب، والأقرب إلى مقصد الكاتب، أو ضرورة الاحتكام لضوابط تفنين التأويل وتمكّن من التمييز بين التأويلات السليمة ونظيراتها السقيمة.

يندرّج إنتاج عدد لا مثناه من التأويلات - في محاولات استكشاف مضمون اللفظ الأقرب إلى مقصد الملقّي - ضمن العبث، ما حتّ بعض النقاد على التصريح باستعدادهم للتنازل عن فكرة ممارسة النقد في أبحاثهم ودراساتهم إذا كان النشاط التأويلي سيُفضي إلى مثل هذا التراكم. (كيلر، 2007، ص:64).

يعتبر تحوّل اللسانيين من دراسة البنية [: هيكل المعطيات] إلى دراسة القدرة دليلاً على حصول تقدّم ملموس في البحث عن شروط إنتاج المعنى، وإجراءات فهمه عبر التأويل بما يسمح بتفسير الظواهر اللغوية المرتبطة بقدرة المتكلم. كما برز تحوّل آخر في مجال النقد بالانتقال من تحليل بنات النص الأدبي إلى الاهتمام باستكشاف طبيعة قدرات القراء في تلقيهم لهذا الأثر.

لم يتحقّق اعتناق آلية التأويل من جبروت النصّ الديني بالغرب سوى مع المفكر الألماني "شلايرماخر" (Schleiermacher) (1768-1834م) (De Visscher (1991); pp:606-631)، بتأكيدِه أنّ النصوص المقدّسة محرّرة من لدن أتباع المسيح، ما يستوجب إخضاعها للتأويل شأنها في ذلك شأن أي نصّ آخر، ويحتّم التركيز على النسق اللغوي للتقصّي في آليات الفهم والتفسير (Schleiermacher (1987), p: 99)، واستكشاف مقاصد مُنتج الخطاب. أمّا سبب نعت مجهوداته في نطاق التأويل بـ"المرحلة الرومانسية"؛ فذلك ناتج بالأساس عن دعوى توحّي الفهم المثالي للنصّ، وهو هدف أقرب إلى الطوباوية (Gadamer (1996); pp: 74-94).

مِنَ الْأَفِيدِ اسْتِكْشَافُ عِلَلِ اهْتِمَامِ الْبَاحِثِ 'شَلَايُومَاخِرُ' الْمَزْدُوجِ بِفِعْلِ التَّأْوِيلِ فِي مَسَارَاتِ عِلْمِ التَّأْوِيلِ وَعَلاَقَتِهِ بِالنُّصُوصِ الْإِبْدَاعِيَّةِ. أَقْصَدُ بِالْاهْتِمَامِ الْمَزْدُوجِ: الْجَمْعُ بَيْنَ الْبُعْدِ النَّقْدِيِّ - الْقَائِمِ عَلَى مَقُولَةٍ: "يُسْتَدْعَى التَّأْوِيلُ كُلَّمَا لَوَحَظَ سُوءُ الْفَهْمِ" - وَالْبُعْدِ الرُّومَانْسِيِّ الْمُمَثِّلِ فِي مَقُولَةٍ: "ضَرُورَةُ فَهْمِ مَقْصُودِ الْكَاتِبِ كَمَا فَهَمَ ذَاتَهُ وَلَكِنَّمَا أَفْضَلَ" (Schleiermacher (1959) ; Par, 15-16). إِنْهُمَا بُعْدَانِ مُلَازِمَانِ لِثَنَائِيَّةٍ جَنَسِيَّةٍ لَكُلِّمَا: التَّأْوِيلُ النَّحْوِيُّ الَّذِي يَسْتَنْدُ إِلَى خُصَائِصِ خِطَابِ نَصٍّ مَا، وَالتَّأْوِيلُ النَّفْسِيُّ الَّذِي يَرْتَبِطُ بِثَقَافَةِ الْكَاتِبِ (التَّأْوِيلُ التَّفْقِيُّ). يَنْعَثُ الْبَاحِثُ الْأَلْمَانِيُّ التَّأْوِيلَ الْأَوَّلَ نَعْتًا سَالِيًا بَيْنَمَا يَعْتَبِرُ الثَّانِي إِيْجَابِيًا، "لَأَنَّهُ يُبْلِغُ فِعْلَ الْفِكْرِ الَّذِي يُنتِجُ الْخِطَابَ" (ن م، ص: 62). تَنْجَلِي مَلَامِيحَ التَّخْمِينِ وَالتَّكْهُنِ فِي "التَّأْوِيلِ النَّفْسِيِّ" (Ricœur (1986); p : 79). يَسْأَلُكَ الْمُؤَوَّلُ سَبِيلَيْنِ بَعَرَضِ اسْتِكْشَافِ مَعَانِي مَلْفُوظَاتِ النَّصِّ الْأَصْلِيِّ، أَوَّلُهُمَا الْاسْتِئْطَانُ، الَّذِي، يُعَدُّ أَدَاةً فِي جَعْلِ قِرَاءَةِ مَضَامِينِ النَّصِّ الْأَصْلِيِّ ذَاتَ طَبِيعَةٍ تَفْسِيرِيَّةٍ وَاصِفَةٍ، وَثَانِيَهُمَا الْاسْتِعَانَةُ بِنَتَائِجِ قِرَاءَاتٍ لِلنَّصِّ، تُشِيرُ فِي هَذَا السِّيَاقِ إِلَى إِمْكَانِيَّةِ إِنْتَاجِ قِرَاءَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ صَادِرَةٍ عَنْ نَفْسِ الْقَارِئِ.

يَدْعُو بَعْضُ النُّقَادِ - فِي سِيَاقِ هَذِهِ الْإِمْكَانِيَّةِ، وَفِي إِطَارِ أَهْمِيَّةِ مُعَالَجَةِ الْقِرَاءَةِ بِاعْتِبَارِهَا بِنَاءً (Structure) - إِلَى ضَرُورَةِ إِدْرَاكِ الْقِرَاءَةِ وَتَصْنِيفِهَا بِوَصْفِهَا بِنَاءً إِذَا مَا تَمَّ النَّظَرُ إِلَى الْقَارِئِ بِاعْتِبَارِهِ ذَاتًا تَقْرَأُ النَّصَّ نَفْسَهُ قِرَاءَاتٍ مُخْتَلِفَةً فِي ذَاتِ الْوَقْتِ، أَوْ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، بَعِيدًا عَنْ كَوْنِهِ وَاعِيًا لِلَاخْتِلَافَاتِ النَّظَرِيَّةِ الَّتِي تَمَثِّلُهَا، فَفَعَالِيَّتُهُ طَبِيعَةٌ لِدَرَجَةٍ أَتَاهَا تَبَقَّى غَيْرَ مُدْرَكَةٍ، مَعَ التَّنْبِيهِ إِلَى أَهْمِيَّةِ الْوَعْيِ بِكَيْفِيَّةِ إِجْرَاءِ الْقِرَاءَةِ سَوَاءً كَانَتْ بِنَاءً أَمْ تَفْكِيكًا. (تودوروف (2004)، ص: 103).

بَدَهِي أَنَّ النِّشَاطَ التَّأْوِيلِيَّ أَكْثَرُ تَجَلِّيًا فِي النُّصُوصِ التَّخْيِيلِيَّةِ مِنْهُ فِي النُّصُوصِ الْمَرْجِعِيَّةِ الَّتِي تُحِيلُ مَلْفُوظَاتَهَا إِلَى مَذَلُولَاتٍ مَا صَدَقِيَّةٍ. تَمْنَحُ التَّلْمِيحَاتُ (لَا التَّصْرِيحَاتُ) شَكْلًا وَجُوهَرًا لِلْمَعْنَى، فَتَنْتَسِعُ فِي ذَهْنِ الْقَارِئِ - الْمُتَرْجِمِ وَخَيَالِهِ لِتَتَّخِذَ دَلَالَاتٍ أَكْبَرَ مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ (خ). يَتَخَطَّى التَّأْوِيلُ عَالَمَ الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِيَبْلُغَ عَوَالِمَ الْعُلُومِ الدَّقِيقَةِ، فَ"الْمُكْعَبُ إِذَا نُظِرَ إِلَيْهِ مِنْ زَاوِيَةٍ وَاحِدَةٍ، لَا يَبْرُزُ مَا تَتَضَمَّنُهُ رَوَايَاهُ الْحَقِيقَةُ، وَمَعَ ذَلِكَ يُحَدِّدُ قَبْلِيًا بِاعْتِبَارِهِ مُكْعَبًا" (Husserl (1953), 39). إِنَّ الْمَعَانِي لَا تَنْجَلِي بِظَاهِرِ الصَّفَحَاتِ الْمَطْبُوعَةِ أَوْ الرُّقْمِيَّةِ أَوْ بِالْأَصْوَاتِ الْمَنْطُوقَةِ وَإِنَّمَا تَتَوَلَّدُ مِنَ التَّفَاعُلِ بَيْنَ الْخِطَابِ وَالْقَارِئِ - الْمُتَرْجِمِ (Woolf (1975), 174) (آيزر، (2004)، ص: 134). مَا يَكْشِفُ عَنْ أَهْمِيَّةِ مَوْقِفِ الْقَارِئِ أَنَّ الْبَاحِثَ 'آيزر' جَعَلَهُ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْمَنْظُورَاتِ الرَّئِيسَةِ فِي النَّصِّ السَّرْدِيِّ (بِمَعْنَى مَنْظُورَاتِ الرَّأْيِ وَالشَّخْصِيَّاتِ وَالْحَبْكَةِ)، يُقَرِّغُ الْبَاحِثُ هَذَا الْمَوْقِفَ إِلَى فَرَعَيْنِ: مَوْقِفُ الْقَارِئِ فِي وَضْعٍ صَرِيحٍ، ثُمَّ مَوْقِفُ الْقَارِئِ فِي وَضْعٍ ضَمْنِيٍّ يُلْزِمُهُ بِتَبَيُّهِ (نفس المرجع، ص: 135).

إنَّ حُضُورَ الْعَنَاصِرِ التَّعْبِيرِيَةِ الْحَرِيصَةِ عَلَى تَحْقِيقِ الْوُظَيْفَةِ الْجَمَالِيَّةِ بِالنَّصِّ الْإِبْدَاعِيِّ يُشْرِعُ لِلْقَارِئِ خَوْضَ مُعَامَرَاتِهِ بَحْثًا عَنِ التَّأْوِيلِ الْأَنْسَبِ بِالنَّظَرِ إِلَى مُتَصَوِّرَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي تُشَخِّصُ سُبُلَ التَّلَقِّيِ. غَيْرَ أَنَّ "إِفِيرَتُو إِيكُو" - كَمَا هُوَ الْحَالُ بِكِتَابَاتِ "الْجِيلِي" وَ"الشَّاطِي" - يَجْعَلُ حُرِّيَّةَ الْمُتَلَقِّي تَنْسِمَ بِطَائِعِ الْوَعْيِ وَحَسِّ الْمَسْئُولِيَّةِ، مِمَّا يَجْعَلُ تَدْخُلَهُ فِي اسْتِثْقَائِ التَّأْوِيلَاتِ الْمُتَوَلِّدَةِ عَنْ تَلَقِّي النَّصِّ تَدْخُلًا مُشْرُوطًا، كَمَا يَتِمَثَّلُ فِي دَوْرِ الْوَسَاطَةِ الَّتِي يُقُومُ بِهَا الْعَازِفُ (إِيكُو، (2001)، ص ص: 13-15).

يُسْنَهُمْ تَتَالِي التَّأْوِيلَاتِ لَدَى الْقَارِئِ وَمُزَاحِمَةِ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ - كَيْ تَتَبَوَّأَ الصَّدَارَةَ - فِي انْتِعَاشِ مَعَايِنِ الْمَلْفُوظَاتِ. إِنَّ تَزَاحُمَ التَّأْوِيلَاتِ وَمُنَافَسَةَ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ لَا يَعْني بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ نَقْضُ السَّابِقِ لِلْآخِرِ وَالْحُكْمُ بِبُطْلَانِهِ.

تَأْخُذُ النُّصُوصُ الْإِبْدَاعِيَّةُ ثَلَاثَةَ أَشْكَالٍ: نُصُوصٌ مُشَقَّرَةٌ وَأُخْرَى مُتَوَسِّطَةٌ التَّشْفِيرِ وَالصَّنْفُ الثَّالِثُ بَالِغُ التَّشْفِيرِ، بَدْهِيٌّ أَنْ مَجَالَ تَدْخُلِ الْمَوْزُولِ يَتَجَلَّى فِي النَّوعَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ حَيْثُ يَضْطَرُّ لِلتَّأْوِيلِ بِعَرَضِ إِمَاطَةِ اللَّثَامِ عَنْ مَقَاصِدِ الْكَاتِبِ أَوْ عَنْ مَقَاصِدِ الْخِطَابِ (د) إِذَا كَانَ النَّوعُ الْأَوَّلُ مِنَ النُّصُوصِ مَذْمُومًا لِأَنَّهُ يَهِينُ قُدْرَاتِ الْقَارِئِ بِالشَّكِّ فِي تَمَلُّكِهِ لِمَلَكَةِ التَّمَكُّنِ مِنَ الْفَهْمِ فَإِنَّ النَّوعَ الثَّالِثَ بِدَوْرِهِ يَعْرِفُ نَقْدًا لَازِعًا فِي الْأَوْسَاطِ النَّقْدِيَّةِ نَظَرًا لِعُلُوِّهِ فِي قَصْدِيَّةِ الْإِحْفَاءِ، لِذَلِكَ دَعَتِ الْبَاحِثَةُ 'كْرِيسْتِينَ بْرُوكْ - رُوژ' إِلَى تَحْقِيقِ تَوَازُنٍ فِي التَّشْفِيرِ، يَقَعُ فِي مَنزِلَةِ بَيْنِ الْمَنزِلَتَيْنِ (رُوژ (2007)، ص ص: 146-148). تَوَازُنٌ سَيَدْفَعُ الْمُرْتَجِمَ إِلَى تَفَادِي الْعُلُوِّ فِي التَّأْوِيلِ وَالتَّأْيِي عَنِ الْإِطْنَابِ فِي وَصْفِ الْمَلْفُوظَاتِ الْمُخْتَزَلَةِ وَتَفْسِيرِهَا.

الْقُرَاءُ بِدَوْرِهِمْ مُنْشَطِرُونَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ:

* نَوْعٌ يَسْتَمْتِعُ بِقِرَاءَةِ الْخِطَابِ دُونَ إِصْدَارِ حُكْمٍ بِشَأْنِ مَلْفُوظَاتِهِ وَأَبْعَادِهَا الدَّلَالِيَّةِ

* نَوْعٌ ثَانٍ يُبَادِرُ إِلَى إِصْدَارِ الْحُكْمِ دُونَ الْاسْتِمْتَاعِ بِقِرَاءَةِ الْخِطَابِ

* نَوْعٌ ثَالِثٌ يَجْمَعُ بَيْنَ الْاسْتِمْتَاعِ بِتَلَقِّي الْخِطَابِ وَإِصْدَارِ الْحُكْمِ بِشَأْنِ مَلْفُوظَاتِهِ. (أُورْد 'لِينِهَارْدَت' (2007)، ص 239: تَقْسِيمَا

مُشَابِهًا لـ "غُوتِه"). فَمَا عَلَّلَ التَّبَايُنَ بَيْنَ مَقْصِدِ الْكَاتِبِ وَمَقَاصِدِ الْقُرَاءِ؟

9- الْمَقْصِدُ بَيْنَ الْأَحَادِيَّةِ وَالتَّعَدُّدِ:

يَشِي اخْتِلَافُ مَقَاصِدِ الْكَاتِبِ عَنْ مَقَاصِدِ الْقُرَاءِ فِي تَأْوِيلِهِمْ لِنِيتَاجَاتِ الْمُبْدَعِينَ بَتَبَائِنٍ جَلِيٍّ بَيْنَ شَفَرَاتِ الْإِنْتِاجِ وَشَفَرَاتِ التَّلَقِّيِ، كَمَا يَكْشِفُ أَيْضًا عَنْ عَدَمِ ثَبَاتِ الْمَعْنَى فِي الْخِطَابِ الْأَصْلِيِّ. مِنْ شَأْنِ إِكْرَاهِ الْآخِرِينَ عَلَى التَّسْلِيمِ بِوُجُودِ مَعْنَى وَاحِدٍ أَنْ يُقْضَى إِلَى التَّزَاحُ الْاجْتِمَاعِيِّ بَدَلِ الْإِنْسِجَامِ وَالتَّوَاصُلِ، بَلْ يُتَرَجَّمُ انْعِدَامُ التَّحْضُرِ نُجَاهَ الْآخِرِ بِإِكْرَاهِهِ عَلَى قَبُولِ الْمَقْصِدِ الْأَحَادِيِّ.

يُخْرِجُ الْقَارِئُ الْمَعْنَى مِنْ غِلَافِهِ اللَّفْظِيِّ الَّذِي يَأْسِرُهُ، فَيُخَلِّقُ بِهِ فِي فُضَاءَاتٍ لَا وُجُودَ لِقَيْدٍ بِهَا مَا عَدَا قَيْدَ التَّأْلِيفَاتِ السِّيَاقِيَّةِ الَّتِي تَنْدَرِجُ ضِمْنَهَا الْمَلْفُوظَاتِ. يَتَجَاوَزُ التَّأْوِيلُ خُفْلَ الْمُمْكِنِ لِيَنْدَرِجَ ضِمْنَ خُفْلِ الْإِلْزَامِ وَالضَّرُورَةِ، كَمَا يَتَضَعُ بِجَلَاءٍ فِي أُسْطُورَةِ 'أُودِيب'.

(Green (1969), p :282). الأساطيرُ ذَاتُهَا الَّتِي تَرَسَّخَتْ فِي الْأُذْهَانِ مُنْذُ قُرُونٍ بِسَائِرِ الْمُجْتَمَعَاتِ بِحَاجَةٍ إِلَى التَّأْوِيلِ، ذَلِكَ أَنَّ

"الأساطيرُ تُفَكِّرُ عَبْرَ أَذْهَانِ النَّاسِ" كَمَا يُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ 'كُلُودُ لِيْفِي شْتْرَاوسْن' (ماراندا، (2007)، ص:216).

تَتَمَثَّلُ سَلْبِيَّاتُ التَّأْوِيلِ لَدَى فَرِيقٍ آخَرَ (Sontag (1969), p : 15) فِي إِسْهَامِهِ فِي إِفْقَارِ الْعَالَمِ وَاسْتِنْفَادِ قَوَاهِ بِعَرَضِ تَشْكِيلِ عَالَمِ

ظِلَالِ الْمَعَانِي، إِحَالَةً إِلَى عَالَمِ الْأَنْعِكَاسَاتِ وَالصُّوَرِ بِكَهْفِ أَفْلَاطُونِ. اسْتِنْفَادُ أَدَى - فِي نَظَرِ الْمُتَأَوِّلِينَ - إِلَى تَشْوِيهِ وَقَائِعِ "مُحَاكَمَةِ"

'فِرَانْزُ كَافْكَ' لِمَا تَعَرَّضَتْ لَهُ مِنْ تَأْوِيلَاتٍ مُتَنَاقِضَةٍ.

لَا شَكَّ أَنَّ الْمَوَاضِعَاتِ الثَّقَافِيَّةَ السَّائِدَةَ بِمُجْتَمَعٍ مَا بَيْنَ أَفْرَادِهِ هِيَ الْحَدِّدَةُ لِمَقَايِسِ التَّأْوِيلِ. يَسْتَلْزِمُ النِّشَاطُ التَّأْوِيلِيُّ قَبُولَ مَا يَنْسَجِمُ

مَعَ رُؤَايَا وَالتَّأْيِي عَمَّا يَتَعَارَضُ مَعَ تَصَوُّرَاتِنَا وَأَحْكَامِنَا، فَهَلْ نَتَرَجِّمُ هَذِهِ الثَّنَائِيَّةَ (الْقَبُولُ/ التَّأْيِي) نَرَجِسِيَّةً مُتَجَدِّدَةً فِي دَوَاتِنَا مُنْذُ أَقْدَمِ

الْغُصُورِ؟

لَا شَكَّ أَنَّ عَدَدَ مَعَانِي الْمَلْفُوظِ بِعَدَدِ السِّيَاقَاتِ الدِّهْنِيَّةِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يُتَرَجِّمَ إِلَيْهَا، لَيْسَ الْكَاتِبُ مَنْ يَسْتَكْشِفُ هَذَا التَّعَدُّدَ، إِنَّمَا

الْقَارِئُ، غَيْرَ أَنَّ بَابَ تَشْكِيلِ الْمَعْنَى غَيْرُ مَفْتُوحٍ عَلَى مِصْرَاعِيهِ دُونَ أَدْنَى قَيْدٍ وَلَا شَرْطٍ، إِنَّمَا يُعْتَبَرُ الْخِطَابُ أَوَّلَ الْفِيُودِ.

10-التَّأْوِيلُ رَهِينُ السِّيَاقِيَّةِ:

تَتَمَثَّلُ مَسْوَغَاتُ الْإِخْتِلَافِ فِي اسْتِكْشَافِ الْمَعَانِي الْبَاطِنِيَّةِ: أَنَّ التَّأْوِيلَ نِشَاطٌ جَمَاعِيٌّ مُرْتَبِطٌ أَشَدَّ بِالْإِتِبَاطِ بِالسِّيَاقِ، تَقُومُ الْقَرَائِنُ

السِّيَاقِيَّةُ مَقَامَ اللَّفْظِ، "قَدْ يَتَغَيَّرُ الْمَعْنَى، وَيَكُونُ اللَّفْظُ نَصًّا فِيهِ بِالْقَرَائِنِ وَالسِّيَاقِ لَا مِنْ جِهَةِ الْوَضْعِ" (الشريف التلمساني (1998)،

ص:433). نَتَنَاولُ مَفْهُومَ السِّيَاقِ فِي نِطَاقِهِ الشَّامِلِ الَّذِي يَشْمَلُ السِّيَاقَاتِ اللَّغَوِيَّةَ وَالثَّقَافِيَّةَ وَالاجْتِمَاعِيَّةَ وَالنَّفْسِيَّةَ (الْمَزَاجِيَّةَ)، فَكُلُّ

مَوْوَلٍ يَنْشُدُ تَنَاعُماً بَيْنَ الْخِطَابِ الْمَوْوَلِ وَخَلْفِيَّاتِهِ الْمَعْرِفِيَّةِ. يُمَثِّلُ السِّيَاقُ - وَهُوَ عَوَامِلٌ لُغَوِيَّةٌ وَعَبْرٌ لُغَوِيَّةٌ تُسَهِّمُ فِي تَحْدِيدِ الْمَعْنَى - دَعَامَةً

أَسَاسِيَّةً لِكُلِّ عَمَلِيَّةٍ تَأْوِيلٍ لَخِطَابٍ لُغَوِيٍّ تَطْعَى بِهِ الْأَسَالِيبُ التَّصْنِيعِيَّةُ، وَيَتَمَيَّزُ بِالْإِجْمَالِ وَالْحَدْفِ وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَالْمَجَازِ وَالتَّوْرِيَّةِ.

يَنْتَفِي التَّأْوِيلُ الْعَقْلِيُّ الْمَحْضُ، ذَلِكَ أَنَّ الْمَوْوَلَ مُلْزَمٌ بِتَرْجِيحِ اخْتِمَالٍ دَلَالِيٍّ بِالْإِسْتِنَادِ إِلَى النِّظَامِ اللَّغَوِيِّ، وَمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ قَرَائِنٍ تُفَقِّنُ

مَعْنَاهُ الْعَرَبِ فِي مُحَاطَبَاتِهِمْ. يَسْتَحْضِرُ التَّأْوِيلُ الْعَادَاتِ الثَّقَافِيَّةَ وَالتَّمَاذِجَ الْمُجْتَمَعِيَّةَ السَّائِدَةَ بِنَيْتَةِ الْمَوْوَلِ كَمَا تَتَأَثَّرُ عَمَلِيَّاتُ التَّأْوِيلِ

بِنَوَاتِيهِ النَّفْسِيَّةِ. لِذَلِكَ اعْتَبَرَ نُظَّارُ الْفِكْرِ الصُّوفِيِّ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّ التَّأْوِيلَ هُوَ عِلْمُ الْكَشْفِ، بِغَايَةِ أَنْ تَتَلَاءَمَ كُشُوفَاتُهُمُ الْإِلَهَامِيَّةُ مَعَ

مَقَاصِدِهِمْ وَمُنْطَلِقَاتِهِمُ الْفِكْرِيَّةِ. تَتَأَكَّدُ الْحَاجَةُ إِلَى السِّيَاقِ بِوُجُودِ خِطَابَاتٍ أَبْعَدُ مَا تَكُونُ عَنِ الْوُضُوحِ (الغزالي (1997)، ج2/386).

تَأْتِي الْوَحْدَةُ الْمُعْجَمِيَّةُ الْخُضُوعَ إِلَى التَّأْوِيلِ إِذَا وَرَدَتْ مُجَرَّدَةً عَنِ السِّيَاقِ (Schmidt, (1976), p:56) . مِنْ الْمُؤَشِّرَاتِ السِّيَاقِيَّةِ الَّتِي تُفِيدُ فِي رَفْعِ اللَّبْسِ: بِنْيَةُ اللَّفْظِ، وَضَعُ الْمُتَكَلِّمِ (نَبْرَاتُهُ الصَّوْتِيَّةُ، مَلَامِحُهُ)، ظُرُوفُ إِنتَاجِ الْكَلَامِ وَالْحَالَةُ النَّفْسِيَّةُ لِلْمُتَكَلِّمِ وَتَغْيِيرَاتِهِ الْحَرْكِيَّةُ، تَنْدَرِجُ كُلُّ هَاتِهِ الْعُنَاصِرُ ضِمْنَ مَا سَمَّاهُ الْأُصُولِيُّونَ سِيَاقَ الْمَقَالِ وَسِيَاقَ الْحَالِ.

تُؤَكِّدُ الْأَعْمَالُ الرَّائِدَةُ لـ "فْرِيج" (Frege) وَ"فِتْجَنْشْتَاين" (Wittgenstein) وَ"أَوْسْتَيْن" (Austin) وَأَعْمَالُ الْمُدَافِعِينَ عَنِ السِّيَاقِيَّةِ (Contextualisme) مِنْ أَمَثَالٍ "شَارْلُ تْرِفيس" (Charles Trevis) أَنَّ إِدْرَاكَ الْمَقَاسِيِ الْمَحْدَدَةِ لِمَعَانِي الْمَلْفُوظَاتِ تَتَطَلَّبُ مُعَالَجَةً سِيَاقِيَّةً، إِنَّ مَقَاسِيِ الْمَعْنَى - خِلَافًا لِكُلِّ نَظَرٍ نَسْبِيَّةٍ لـ "الْفَهْم" - مُعَيَّرَةٌ [: مُقَيَّسَةٌ] بِشَكْلِ تَوَاضُعِيٍّ، وَبِالتَّالِيِ فَلَا جَالَ لِلْقَوْلِ بِوُجُودِ تَأْوِيلٍ وَاحِدٍ لِهَاتِهِ الْمَقَاسِيِ، ذَلِكَ أَنَّ التَّأْوِيلَ الْأَنْسَبَ يَتَحَقَّقُ عَبْرَ السِّيَاقِ الَّذِي يُقُومُ بِتَقْيِيسِهِ، فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، مَا جَدَّوْى الْحَدِيثِ عَنْ تَأْوِيلِ مَعْنَى الْمَلْفُوظِ؟ هَلْ يُمَكِّنُ لِتَأْوِيلَاتٍ مُتَعَدَّدَةٍ لِلْمَلْفُوظِ الْوَاحِدِ أَنْ تَتَعَايَشَ بِاللُّغَةِ الْعَامَّةِ؟ نَقْتَرِجُ لِلتَّحَقُّقِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِجْرَاءَيْنِ:

- تَأْوِيلُ الْعَلَامَاتِ اللَّغَوِيَّةِ، فِي حَالَةٍ مَا إِذَا كَانَتْ مُلْتَبِسَةً وَغَامِضَةً.

- تَأْوِيلُ مَعْنَى مَلْفُوظٍ، يُفْرَضُ فَرَضًا فِي خَالَاتٍ مُحَدَّدَةٍ مُعَيَّنَةٍ لِّلْسِيَاقِ، أَوْ حِينَمَا نَجْهَلُ طَبِيعَتَهُ.

نُعَايِنُ بِالِإِتِّجَاهِ الْوَاقِعِيِّ فِي لِسَانِيَّاتِ أُكْسُفُورْدَ وَبَابِرَزِ كِتَابَاتِ "كُوْتْلُوبُ فْرِيج" وَ"لُويْدُغُ فِتْجَنْشْتَاين" دِفَاعًا مُسْتَمْتًا عَنِ الْأَطْرُوحَةِ السِّيَاقِيَّةِ فِي فِلْسَفَةِ اللُّغَةِ وَنَآيَا عَنِ التَّعَالِيمِ الصَّارِمَةِ لِعِلْمِ الدَّلَالَةِ. يَرَى أَنْصَارُ السِّيَاقِيَّةِ عَدَمَ إِمْكَانِيَّةِ تَقْيِيسِ مَحْتَوَى الْمَلْفُوظِ بِاللُّجُوءِ إِلَى مَقُولَتِي الصِّحَّةِ وَالْخَطِ دُونَ اعْتِبَارِ ظُرُوفِ الْإِنْجَازِ وَالتَّلَفُّظِ كَمَا يَعْتَبِرُونَ أَنَّ مَعْنَى الْمَلْفُوظَاتِ لَا يَتَحَدَّدُ بِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ أَسْمَاءٍ. انْطِلَاقًا مِنْ هَذَا الْمَعْنَى: هَلْ يَصِحُّ الْحَدِيثُ عَنْ تَأْوِيلِ مُقَيَّسٍ؟ مِنْ شَأْنِ تَحْدِيدِ كَيْفِيَّةِ اسْتِغَالِ التَّأْوِيلِ فِي عَمَلِيَّاتِ التَّلَفُّظِ بِالْمَتَدَاوِلِ الْيَوْمِيِّ أَنَّ مُمَكِّنَنَا مِنْ مُعَايَنَةِ مَدَى ارْتِبَاطِ التَّأْوِيلِ بِمَا لَهُ صِلَةٌ بِالتَّلَفُّظِ، وَبِشَكْلِ أَحْصَى بِهِمْ مَعْنَى الْمَلْفُوظِ، وَدَرَجَاتِ هَذَا الْارْتِبَاطِ.

11- نَحْوُ تَقْيِيسِ فَهْمِ مَعَانِي الْمَلْفُوظَاتِ:

تَتَحَدَّدُ أَهْمِيَّةُ الْأَطْرُوحَةِ السِّيَاقِيَّةِ لِلْبَاحِثِ "تْرِفيس" (Travis, 2010, pp :585-606) فِي تَبْيِينِ أَهْمِيَّةِ اللُّجُوءِ إِلَى مَفْهُومِ التَّأْوِيلِ فِي خَالَاتٍ مُحَدَّدَةٍ، وَفِي أَنَّ فَهْمَ مَعْنَى الْمَلْفُوظِ فِي خَالَاتٍ أُخْرَى (تُشَكِّلُ الْأَغْلَبِيَّةَ) يَتَأَتَّى بِاللُّجُوءِ إِلَى السِّيَاقِ وَلَا يَتَطَلَّبُ تَحْمِينًا بِالرُّكُونِ لِأَلِيَّةِ التَّأْوِيلِ (الْبَعْبُودِي (2023)، ص ص: 157-163). تُدَافِعُ السِّيَاقِيَّةُ إِذَنْ عَنْ فِكْرَةِ وُجُودِ مَقَاسِيِ مَوْضُوعِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ يَعْزِضُ ضَبْطَ تَلَفُّظِ الْمَلْفُوظَاتِ، هَاتِهِ الْمَقَاسِيِ لَا تَنْتُجُ عَنْ مَوْقِفٍ جَمَاعِيٍّ، إِنَّمَا يَسْتَخْلِصُهَا الْمُتَلَقِّي الْحَصِيفُ مِنَ السِّيَاقِ، وَبِالتَّالِيِ فَهِيَ بِنَاءٌ عَلَى

هَذَا الْمَعْنَى لَيْسَتْ مُوضَعًا لِلتَّأْوِيلِ. لَكِنْ أَلَا تَوْجَدُ سِيَاقَاتٍ خَاصَّةً لَا تَسْمَحُ لَنَا فَقَطُّ بِالاسْتِنَادِ إِلَى مَعْبَرِ التَّأْوِيلِ، وَإِنَّمَا تَفْرِضُ عَلَيْنَا التَّأْوِيلَ وَسَبِيلَهُ مُمَكِّنًا مِنْ فَهْمِ الْمَلْفُوظِ؟ إِنَّمَا فَرَضِيَّةُ "الاسْتِعْمَالِ الْمَشْرُوطِ" لِلتَّأْوِيلِ الَّتِي نَأْمَلُ عَرْضَهَا فِيهَا يَأْتِي:

12-الاستعمال المشروط للتأويل في فهم الملفوظات:

تَتَطَلَّبُ بَعْضُ الْعَلَامَاتِ الْمُشَفَّرَةِ أَوْ الْمُتَبَسِّةِ تَأْوِيلًا بِاللُّغَةِ الْعَامَّةِ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي الْعَلَامَاتِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ أَكْثَرَ مِنْ دَلَالَةٍ، بِذَلِكَ، يَتَأَسَّسُ التَّأْوِيلُ عَلَى تَرْجِمَةِ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ عَبْرَ اسْتِبْدَالِهَا بِرُمُوزٍ ثَقُلَ غُمُوضًا، غَيْرَ أَنَّ 'فِتْجَنَشْتَيْنِ' يُنَبِّهُ إِلَى عَدَمِ إِمْكَانِيَّةِ إِجْرَاءِ تَأْوِيلٍ ثَانٍ فِي حَالَةِ مَا تَمَّ اللُّجُوءُ إِلَى تَأْوِيلِ هَاتِهِ الْعَلَامَاتِ، فَحِينَمَا تُتَرْجَمُ الْعَلَامَاتُ إِلَى لُغَةٍ عَادِيَّةٍ غَيْرِ مُبْهَمَةٍ، فَلَا مَجَالَ لِلْقِيَامِ بِتَأْوِيلٍ آخَرَ مِنْ أَجْلِ فَهْمِ الْمَلْفُوظَاتِ.

هَذَا يَعْنِي - خِلَافًا لِلرَّأْيِ السَّائِدِ- أَنَّ إِدْرَاكَ مَعْنَى الْمَلْفُوظِ - فِي سِيَاقِ الْأَطْرُوحَةِ السِّيَاقِيَّةِ- لَا يَسِمُ بِاللُّجُوءِ إِلَى التَّأْوِيلِ، إِنَّ الرِّبْطَ بَيْنَ الْمَفْهُومَيْنِ (الْفَهْمِ وَالتَّأْوِيلِ) نَاتِجٌ عَنْ أخطاءِ النُّحَاةِ بِحَسَبِ رَأْيِ 'فِتْجَنَشْتَيْنِ'، إِنَّهُ رَأْيٌ نَحْدُ صَدَاهُ لَدَى "جاك بُوفِيريسن" (Jacques Bouveresse) حِينَ يُقَرَّرُ: "فِي حَالَاتٍ مُعَيَّنَةٍ - كَمَا أَوْضَحَ 'فِتْجَنَشْتَيْنِ' - نُعَايِنُ تَنَافُرًا بَيْنَ مَفْهُومِي "الْفَهْمِ" وَ "التَّأْوِيلِ"، فَحِينَمَا نَصْرِّحُ بِأَنَّنا فَهَمْنَا مَعْنَى لَا يَعْنِي أَنَّنَا لَا يَحْقُقُ لَنَا الْإِمْنَعَانُ فِي التَّأْوِيلِ، إِنَّمَا فَقَطُّ نَحْجُمُ عَنْ ذَلِكَ" (Travis, 2010, Ibid).

إِنَّهُ الدَّرْسُ السِّيَاقِيُّ الَّذِي نَسْتَخْلِصُهُ مِنْ تَحْلِيلَاتِ 'فِتْجَنَشْتَيْنِ' الَّتِي أَعَادَ صِيَاغَتَهَا "تْرِفيسن" عَلَى الْمُنَوَالِ الْآتِي: "لَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى تَأْوِيلِ مَعْنَى الْمَلْفُوظِ لِفَهْمِهِ حِينَمَا يَكُونُ السِّيَاقُ مُحَدَّدًا بِوُضُوحٍ"، كَمَا يَلْزَمُ مَنَاهِضَةُ التَّأْوِيلِ الشُّمُولِيَّ الْقَسْرِيَّ بِدَلِيلِ تَعَدُّدِ مُسْتَوَيَاتِ الْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا خُلَاصَاتٌ مَثِيلَةٌ لِمَا أَوْرَدَهُ الشَّاطِي فِي مُوَافَقَاتِهِ [كَمَا سَيَأْتِي تَوْضِيحُهُ فِيهَا يَأْتِي] فِيمَا لَا يَسْتَدْعِي التَّأْوِيلَ عِنْدَ رَائِدِ عِلْمِ الْأَصُولِ: النُّصُوصُ الْمُتَوَاتِرَةُ إِضَافَةً إِلَى الْمُتَشَابِهِ الْحَقِيقِيِّ.

نُشِيرُ فِي هَذَا الصَّدَدِ إِلَى أَنَّ التَّأْوِيلَ مُرَحَّبٌ بِهِ فِي الْخِطَابَاتِ النَّاخَةِ (Opaques) وَيُشَكِّلُ فَائِضًا بِالْخِطَابَاتِ الشَّفَافَةِ. يَتَطَابَقُ الْخِطَابُ النَّاخِ عِنْدَ 'تْرِفِينَانْ تُوْدُورُوفْ' مَعَ الْخِطَابِ الْمُبْجَرَّدِ مِنَ الْإِحَالَةِ الْمَرْجِعِيَّةِ، يَتَمَيَّزُ بِكَثْرَةِ رُسُومِهِ وَمُحَسِّنَاتِهِ الَّتِي تَحُولُ دُونَ رُؤْيَا مَا وَرَاءَهَا، إِنَّهُ "لُغَةٌ لَا تُحِيلُ عَلَى أَيْ وَاقِعٍ، أَيْ أَنَّهُ خِطَابٌ يُحِيلُ عَلَى ذَاتِهِ" (Todorov (1967) ; p : 102).

مِنَ الْمُحْتَمِّ أَنَّ الْقَوْلَ الشَّفَافَ "قَوْلٌ قَطْعِيٌّ" أَوْ "مَقْطُوعٌ بِهِ" لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ فِي مَكْتُوبَاتِ الْأَسْلَافِ (الجويني (1996)، ج 99/2- السرخسي، (1414 هـ)، ج 126/1، وآخرون) الَّذِينَ أَوَّلُوا مَفْهُومَ التَّأْوِيلِ عَنَائَةً خَاصَّةً بِمَكْتُوبَاتِهِمْ فِي مَجَالَاتٍ مَعْرِفِيَّةٍ شَتَّى: كَالْكَلَامِ

والتَّخَوُّ والتَّفْسِير والأُصُول والتَّصَوُّف، نَقْتَصِرُ فيما يلي عَلَى رَصْدِ مَكَانَةِ التَّأْوِيلِ وَضَوَائِطِهِ فِي الْخِطَابَيْنِ الْآخِرَيْنِ فِي أَفْقِ تَقْيِيمِ مُنْجَزَاتِ التَّأْوِيلِيَّةِ الْحَدِيثَةِ.

13- ضَوَائِطُ التَّأْوِيلِ فِي الْفِكْرِ الْأُصُولِيِّ:

التَّأْوِيلُ عِنْدَ الْعَزَالِيِّ (1413-2003، ج 3/ص 88) احْتِمَالٌ يَسْتَنْدُ إِلَى دَلِيلٍ لِتَرْجِيحِ مَعْنَى بَدَلِ الْمَعْنَى الظَّاهِرِيِّ، يُقْصَدُ بِذَاتِ الْمَفْهُومِ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ: تَرْجِيحُ بَعْضِ الْوُجُوهِ بِنَاءً عَلَى غَالِبِيَّةِ الرَّأْيِ (السرخسي، نفس المصدر).

تَنْبَغُ ثَلَاثِيَّةُ "الْمُلْقِي وَالْقَوْلُ وَالْمُتَلَقِّي" مِنْ أَطْرَافِ النَّظَرِ الْمَقْاصِدِيِّ الَّتِي حَصَرَهَا الشَّاطِئِي فِي مُوَافَقَاتِهِ، "الْمُلْقِي": "الْخَالِقُ عَزَّ وَجَلَّ فِي السِّيَاقِ الدِّينِيِّ وَالْمُتَكَلِّمُ فِي السِّيَاقِ الْإِبْدَاعِيِّ"، و"الْقَوْلُ": "الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي السِّيَاقِ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْخِطَابُ الْبَشَرِيُّ فِي السِّيَاقِ الثَّانِي"، و"الْمُتَلَقِّي": "وَاحِدٌ مِنْ سَائِرِ الْمُكَلَّفِينَ الَّذِينَ نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ"، وَنُعْنِمُ نِطَاقَ الْمُتَلَقِّي لِشَمْلِ سَائِرِ مُسْتَقْبَلِي الْبِتَاجَاتِ الْإِبْدَاعِيَّةِ شِعْرِيَّةً كَانَتْ أَمْ نَثْرِيَّةً.

أَبْلَى الْأُصُولِيُّونَ الْبَلَاءَ الْحَسَنَ فِي صَوِّغِ ضَوَائِطَ مُقَنَّيَّةٍ لِلْمُمَارَسَةِ التَّأْوِيلِيَّةِ تَتَّصِلُ بِمُرَاعَاةِ طَبِيعَةِ الْخِطَابِ الْمُؤَوَّلِ وَتُخْتَلَفُ أَحْوَالُهُ وَطَبِيعَةُ الْمُؤَوَّلِ وَمَدَى انْسِجَامِ الْخِطَابِ، تُلْزِمُ الْمُؤَوَّلَ أَخْذَهَا بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ فِي نَشَاطِهِ التَّأْوِيلِيِّ، نَذَكُرُ مِنْ هَذِهِ الضَّوَائِطِ:

* ضَابِطُ طَبِيعَةِ الْخِطَابِ الْمُؤَوَّلِ، إِذْ يُعَايِنُ الْمُتَلَقِّي ثَلَاثَةَ أَنْمَاطٍ خَطَابِيَّةٍ:

أ- نَمَطٌ لَا سَبِيلَ إِلَى إِدْرَاكِهِ، يَرْتَبِطُ بِالرُّوحَانِيَّاتِ وَأُمُورِ الْخَالِقِ.

ب- نَمَطٌ لَا يَعْلَمُ مَضَامِينَهُ سِوَى حَامِلِ رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ، لَا سَبِيلَ إِلَى تَأْوِيلِهَا بِمَنَآئِ عَنْ مُرَاعَاةِ بَيَانِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ج- نَمَطٌ قَابِلٌ لِلتَّأْوِيلِ مِنْ لَدُنِ أَهْلِ الْإِنْسَانِ (: الْعُلَمَاءُ الْمُتَمَكِّنُونَ مِنْ دَقَائِقِ اللُّغَةِ، الْمُطَّلِعُونَ عَلَى خَبَايَا الْأَسَالِبِ التَّصْنِيعِيَّةِ وَالْإِسْتِعَارِيَّةِ).

* ضَابِطُ طَبِيعَةِ الْمُؤَوَّلِ: إِذْ يُشْتَرَطُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ وَمِنَ الْعَارِفِينَ بِالْمَقَاصِدِ.

* ضَابِطُ مُرَاعَاةِ الْأَحْوَالِ وَأَسْبَابِ التَّنْزِيلِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَالْمُبَيَّنِّ وَالْمَقِيدِّ وَالْمُتَشَابِهِ وَالظَّاهِرِ وَالْعَامِّ وَالْمُطْلَقِ.

* ضَابِطُ انْسِجَامِ الْخِطَابِ: بِالنَّظَرِ إِلَى الْخِطَابِ بِوَصْفِهِ صُورَةً وَاحِدَةً يَخْدُمُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَأَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ (الشَّاطِئِي (1997)، 4/

(265).

لَا شَكَّ أَنَّ أَتَمَّ ضَوَائِطِ التَّأْوِيلِ تَتَمَثَّلُ فِي الْإِنْجِسَامِ الدَّاخِلِيِّ لِلْقَوْلِ الَّذِي يُمَثِّلُ الرَّقِيبَ الْأَوَّلَ لِمَسَلِّكِ الْمُتَلَقِّي أَثْنَاءَ عَمَلِيَّةِ التَّلَقِّي.

لَا يَسْتَلْزِمُ "الْقَطْعِيَّ" تَأْوِيلًا بِخِلَافِ "الظَّنِّيِّ"، عَلِمًا أَنَّ أَكْبَرَ الدَّلَائِلِ الظَّنِّيَّةِ: نَقْلُ اللُّغَاتِ، وَنَقْلُ النَّحْوِ، وَالتَّصْرِيفِ، وَعَدَمُ وُجُودِ الإِشْتِرَاكِ، وَالْمَجَازِ، وَالنَّقْلِ، وَالِإِضْمَارِ، وَالتَّخْصِصِ، وَالتَّقْدِيمِ، وَالتَّأْخِيرِ، وَالتَّأْسِخِ، وَالْمَعَارِضِ (الرازي، (1418 هـ)، 1 / 547).

مِنْ شُرُوطِ اسْتِحْضَارِ الْبُعْدِ الْمَقَاصِدِيِّ فِي التَّأْوِيلِ: ضَرُورَةُ التَّفَقُّهِ فِي دَقَائِقِ اللِّسَانِ الَّتِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

تَتِمَّتْ الْغَايَةُ مِنْ اسْتِحْضَارِ الشَّاطِئِ لِلْبُعْدِ الْمَقَاصِدِيِّ فِي التَّأْوِيلِ: الْحَسْمُ فِي الْقَضَايَا الَّتِي أَثَارَتْ الْجَدَلَ بَيْنَ الْقُرَّاءِ، وَكَذَلِكَ اسْتِيعَادُ التَّأْوِيلَاتِ الْبَعِيدَةِ عَنْ مَقْصِدِ الشَّارِعِ الْمُبْتَوْنَةِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْمَنْقُولَةِ بِوَسِطَةِ الْمُصْطَفَى الْأَمِينِ. إِنَّ مُرَاعَاةَ طُرُوفِ الْخِطَابِ [أَوْ قَوَاعِدَ التَّرْمِيزِ الْعَالِيَةِ (Hyper-Codage)] كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الْقَوَاعِدِ التَّحَاذِيثِيَّةِ [يُسَهِّمُ فِي بُلُوغِ التَّأْوِيلِ الْأَقْرَبِ إِلَى مَقْصِدِيَّةِ النَّصِّ، فَكَيْفَ يَنْظُرُ الْمُتَصَوِّفَةُ إِلَى هَذَا الْمَوْضُوعِ؟

14- التَّأْوِيلُ لَدَى أَصْحَابِ اللَّطَائِفِ وَالْإِشَارَاتِ:

إِنَّ إِدْرَاكَ الصَّوْفِيِّ لِلْحَقِيقَةِ الْمَطْلَقَةِ تَدْفَعُهُ إِلَى التَّعْبِيرِ عَنْهَا بِالْفَاطِطِ تَضْيِيقُ بِسَعَةِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، يَنْتُجُ الصَّيْقُ عَنْ تَعَارُضِ عُمُقِ التَّجَرُّبَةِ الْجَوَانِبِيَّةِ لِلْسَّائِلِ، وَسَطْحِيَّةِ الرِّصِيدِ اللَّغَوِيِّ الْمَتَوَفِّرِ لِتَرْجِمَةِ خُصُوصِيَّاتِهَا، مَا يَفْتَحُ الْمَجَالَ رَحْبًا لِلْجَوِّ إِلَى 'الْأَسَالِيبِ التَّصْنِيعِيَّةِ' فِي مُحَاوَلَةٍ لِلْإِحَاطَةِ بِدَقَائِقِهَا. يُمَثِّلُ الرَّمْزُ السَّبِيلَ الْأَنْجَحَ لِلْخُرُوجِ مِنْ وَرْطَةِ صُعُوبَةِ تَرْجِمَةِ الْبَاطِنِ، وَاخْتِرَالِ مَا يَغْتَمِلُ بِالْوُجْدَانِ وَالْقَلْبِ. إِنَّ الْإِقْبَالَ عَلَى الرَّمْزِيَّةِ فِي الْكِتَابَةِ الصَّوْفِيَّةِ نَاتِجٌ -عِلَاقَةٌ عَلَى تَعَدُّرِ نَقْلِ الْحَقَائِقِ بِلُغَةِ الظَّاهِرِ- عَنْ اِزْدِرَاءِ الْمَعَانِي الْوَاضِحَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِأَهْلِ الرُّسُومِ. فَحَتَّمَا "ثَمَنُ الْوُضُوحِ هُوَ ضِيَاعُ الْعُمُقِ" (ريكور، 2005، ص: 357)، وَفَقْدُ جَمَالِيَّةِ مُغَامَرَةِ الْبَحْثِ عَنِ الْمَعْنَى.

نَسْتَشْفِ مِنْ أَقْوَالِ ابْنِ عَرَبِيٍّ الَّذِي عَصَتْ كِتَابَاتُهُ بِالرُّمُوزِ أَنَّ هَذَا السَّبَبَ لَا يَقِلُّ أَهَمِّيَّةً عَنْ سَابِقِهِ، حِينَ يَقْرَأُ أَنَّ مِنْ دَوَاعِي الرَّمْزِيَّةِ: تَخْفِيزُ الْمُتَلَقِّي عَلَى الْإِصْغَاءِ وَجَذْبُ انْتِبَاهِهِ، مُصَرِّحًا أَنَّ أُنْبِيَاءَهُ الْغَزَلِيَّةَ فِي "تَرْجُمَانِ الْأَشْوَاقِ" زَاخِرَةٌ بِالْمَعَارِفِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْأَسْرَارِ الرُّوحَانِيَّةِ وَالْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالتَّنْبِيهَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، فَمَا دَفَعَهُ إِلَى تَوْظِيفِ لِسَانِ الْغَزْلِ وَالتَّشْبِيهِ عَشْقُ النَّفْسِ لِهَذَا الْأَسْلُوبِ.

(ابن عربي، (1968)، ص: 5).

يَتَأَكَّدُ إِذَنْ أَنَّ رِجَالَ التَّصَوُّفِ خَرَصُوا عَلَى التَّأْوِيلِ فِي الْمُتَلَقِّي عَبْرَ جَلْبِ انْتِبَاهِهِ بِسِحْرِ الرُّمُوزِ وَالْإِشَارَاتِ وَمَا تَتَطَلَّبُهُ مِنْ عَمَلِيَّاتِ تَأْوِيلٍ لِلْكَشْفِ عَنْ خَلْفِيَّاتِهَا الْمُتَعَدِّدَةِ بِتَعَدُّدِ مَجَالَاتِ تَوْظِيفِهَا.

إِنَّهُ إِعْرَءُ أُسْلُوبِيٍّ يَتَوَخَّى إِعْرَءًا مَعْرِفِيًّا، يَعْكِسُ حِرْصًا عَلَى اسْتِدْعَاءِ الْبُعْدِ الْجَمَالِيِّ التَّصْنِيعِيِّ فِي اللَّغَةِ بِحَدَفِ تَحْقِيقِ تَبْلِيغِ بَتَأْوِيلِ أَشَدِّ فِي الْمُتَلَقِّي مِنْ أُسَالِيبِ التَّبْلِيغِ الْمَطْمَئِنَّةِ الْمَعْهُودَةِ بَيْنَ طَوَائِفِ سَائِرِ الْعُلُومِ وَالْفَنُونِ مِمَّنْ نُعْتُوا بـ "أَهْلِ الرُّسُومِ". نُشِيرُ بِهَذَا الصَّدَدِ أَنَّ

المظهر التصنيغي بالرموز علة رئيسة في تعقدها بما تحويه من صور استعارية متصلة ومتداخلة. (تراجع صلات التيار الهرمسي بمشهورات أرباب الأحوال في العبودي (2023)، ص ص: 167-171).

شكّلت مصاعب تحديد معالم الرموز عقدة لدى الغربيين منذ أقدم العصور (توازي عقدة أوديب)، غير أنّ الكتابات الصوفية تُرسخ مُعطى الاستيعاء بسبب انفتاح الرموز على عوالم شتى، على غرار ما عكس اسم 'هرمس' (في الثقافة الإشرافية الغنوصية) من تقلب وعُموض.

يتبين أنّ الألفاظ الصوفية ذات وظيفتين: وظيفة رمزية محضة يُراد بها الإخفاء في حالة ما وقعت في أيدي العوام أو بين أهل الرسوم، ووظيفة اصطلاحية محضة تستند أساساً إلى التواطؤ والاتفاق في حالة وجهت إلى أفراد الطائفة من أهل الباطن. ويبدو أنّ ثمة اتفاقاً بين أهل الباطن على حصول التواطؤ بين العارفين في استعمالهم للألفاظ الصوفية، وقد يكون التسليم بهذا الاتفاق سبباً في كون المعجم الاصطلاحي الذي صاغه 'ابن عربي' لا يتعدى عشرات المداخل احتلت بضع صفحات فقط. تتأكد ازدواجية الوظيفة أيضاً في عدم اكتفاء الرموز بتمثيل العناصر العنصرية على الفهم فحسب، وإنما بالكشف أيضاً عن المشاعر العميقة للنفس الإنسانية بشكل يكاد يماثل أبعاد الحقيقة وعناصرها.

يتوضّح بمعاينة الوظيفتين مدى محورية الرمز في الخطاب الصوفي، محورية بلغت حدّ الضرورة التي لا سبيل للخطاب الصوفي أن يستغني عنها. أي أنّ الرمز أصبح خاصية مميزة يتمييز بها أسلوب أهل الطريق في التعبير عن مكانهم جوارهم، ووصف طبائع الحقائق، وعدا السبيل إلى الفهم. (د)

15-الكشف عن أبعاد الرموز:

لا ريب أنّ الرمز يتضمن مقاصد متعدّدة، على غرار تسليم 'إيكو' (2009، ص: 173) بإمكانية حيّزة النصّ لمعانٍ متعدّدة، مع الاختراز في نفس الآن من التصريح بإمكانية تضمّن النصّ لكل المعاني.

يمثل الكشف عن الأبعاد الدلالية للرموز تقييداً للتأويل وصداً لمبدأ انفتاح القراءات، إذ تُسلّم النظريات النقدية الحديثة أنّ الإنتاج الأدبيّ أو الفكريّ ما إن يصدُر عن الباث (المبدع) لا يعود ملكاً له وإنما يُصبح ملك الجمهور المتلقي (Ricoeur, (2002); p : 181)، غير أنّ 'ابن عربي' مخافة الهلاك والتعرض لنفس مصير سلفه 'الحلاج' -الذي باح بما لا يُدرِك كُنْهه جمهور العوام وأهل الرسوم- اضطرّ إلى تنبيه قراء ديوان 'ترجمان الأشواق' من معبّة تأويل أشعاره بما يُفيد معاني الغزل والتشبيب (ز).

اَفْتَقَى أَثَرُ 'ابن عربي' شُرَاحِ دواوينِ الصوفيةِ، فهذا 'القاشاني' يُنَبِّهُ المُتَلَقِّي بدورِهِ مِنْ مَزَالِقِ الانسِياقِ وراءِ المَعانيِ الظاهرةِ في شرحهِ لـ 'تائية ابن الفارض' (القاشاني(2005)، ص: 39). كما حذا نفسَ الحَذوِ 'عبدُ الغنيّ النابلسي' شارِحُ ديوانِ ابْنِ الفَارِضِ، وأحياناً كانَ الصوفيُّ مُلَزَماً - على غرارِ صَنِيعِ ابنِ عَرَبِيٍّ - بالتنبيهِ إلى هذه المحاذيرِ تفادياً لِسُوءِ التأويلِ.

16-الرمزُ بينَ رِهانِ العبّاريّةِ والإشاريّةِ:

يَتَضَخُّ مِنْ كِتاباتِ غالبيةِ أربابِ الأحوالِ البُعْدُ السِّلْبِيُّ للعبّارةِ (الجامِدةِ) مُقابلَ البُعْدِ المُدْسِيّ للإشارةِ (الحَيّةِ) القائمةِ على الرمزِ، ذلكَ ما يُستخلصُ من إِمعانِ المُتصوِّفةِ في التذمُّرِ مِنْ قُصورِ اللّغةِ المُتداوِلَةِ في تَرْجَمَةِ الأحاسيسِ الجَوَانِيَةِ والحَقائِقِ الرِّبّانِيَةِ. (يُراجع: النفري (1935)، ص: 91).

يُوظَّفُ لفظُ "العبارة" بالخطابِ الصوفيِّ بِمَعْنَيَيْنِ: معنىً قَدَحِيٌّ يُفِيدُ تَكَرُّسَ الجُمُودِ، يُضَيِّقُ مَنافَذَ المعرفةِ (نفسِ المصدرِ، ص: 90)، ومعنىً إيجابيّاً يُفِيدُ الجَلَاءَ، سَبِيلُهُ عَدَمُ الرُّكُونِ إلى الجُمُودِ والمسكوكيّةِ. وقد آثرَ أهلُ الأحوالِ استخدامَ لفظِ الإشارةِ للتعبيرِ عن المعنى الثاني للفظِ العبّارةِ، فالإشارةُ جُزْءٌ لا يَتَجَرَّأُ مِنْ ذاتِ الصوفيِّ، تَحْمِلُ السَّالِكَ مِنْ عَالَمِ المُنطِقِ إلى عَالَمِ الوُجْدِ لِتَلَقِّي المَعْرِفَةِ الحَقَّةِ. انتقلتُ الثنائيةُ المُتداوِلَةُ لدى أَهْلِ البَيانِ -التي تُفِيدُ أَنَّ "الألفاظَ مُتناهيةً والمعانيَ لا مُتناهيةً" - لِتَجَدِّدِ مَرْتَعَا لَهَا لدى أَهْلِ الباطنِ، وَتَتَحَوَّلَ إلى ما يُفِيدُ أَنَّ "العبّارةَ فانيةٌ مُنَحْصِرةٌ، والإشارةُ متجدِّدةٌ على الدوامِ"، فالإشارةُ كَثُرَ لا يُغْنِي بِسَبَبِ اتِّساعِ أَفْهَمِها الدَّلالي وَتَحَوَّلَ إلى ما يُفِيدُ أَنَّ "العبّارةَ فانيةٌ مُنَحْصِرةٌ، والإشارةُ متجدِّدةٌ على الدوامِ"، فالإشارةُ كَثُرَ لا يُغْنِي بِسَبَبِ اتِّساعِ أَفْهَمِها الدَّلالي (ابن الفارض(1962)، ص: 97).

من المؤكَّد أَنَّ الترميزَ علامةً على سُمُوِّ الذوقِ، والتصريحَ علامةً على انعدامِهِ، ومُنْحَدَرٌ يُفْضِي إلى البَوَارِ. (المصدر نفسه). ولا شكَّ أَنَّ هذا السُمُوَّ مُتَّصِلٌ بِشكلٍ وثيقٍ بارتباطِ الرموزِ بالأَسرارِ.

مِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنَّ تَدَفُّعَ قُدْسِيَّةِ الإشارةِ القَوَمِ (: طائفةُ أَهْلِ الباطنِ) إلى تَأْسيْسِ عِلْمٍ مُسْتَقِلٍّ بذاته يَنْظُرُ في دقائقِ الإشارةِ وخصائصِها، عِلْمٌ يَنْشُدُهُ جَمِيعُ السالِكينِ لأنَّهُ السَّبِيلُ الأوْحَدُ نَحْوَ إِدْرَاكِ الأَسرارِ الإلهيَّةِ الكامِنَةِ في الكتابِ العزيزِ، المُنزَّلَةِ على قلوبِ العارفينَ إلهاماً (ابن عربي، (1992)، 262/4 [باب 54: في معرفةِ الإشارات)، عِلْمٌ حَاصِلٌ في الصِّدورِ بالوَهْبِ والإِزْثِ، بعيداً عَنِ الكَسْبِ، لأنَّ الكَسْبَ مَخْصُوصٌ لعلومِ أَهْلِ الرُّسُومِ (حيدر آملِي(1975)، ص ص: 491-499-اليعبودي (2013)، ص ص: 207-267). سَبَقَتْ الإشارةُ في (اليعبودي (2014)، ص: 10، هامش 1) إلى بُطْلانِ اقْتِراضِ تَمَثُّلِ اللّغةِ الصوفيةِ لأَقْصَى دَرَجَاتِ الإشاريّةِ، فَتَضُمُّنُ الخُطابِ الصوفيِّ لِكَثِيرٍ مِنَ الإِشاراتِ لا يَنْفِي وُروْدَ الأسلوبِ العبّاريِّ بِمُتَوْنِ أَهْلِ الطَّرِيقِ، وَهُوَ ما يُسْتَشْفَى مِنْ أَقْوالِ 'الجيلي

عبد الكريم' الذي جَمَعَ في خطابه بَيِّنَ الكَتمِ والإفشاءِ وَبَيَّنَ التَّلويحَ والتَّصريحَ (الحكيم (2004)، ص: 8). فما سُبُل الكشف عن الرموز الصوفية؟

17- تأويل الرموز والكشف المتبادل:

مِنْ سِمَاتِ الرَّمزِ المُتَمَيِّزِ: اتساعُ المدى، فالرمزُ الأكثرُ نجاحًا في أداءِ وَظيفتهِ الرَّمْزيةِ المُتمثلةِ في مُقارَبةِ حقائقِ الوجودِ، هو الذي يَسْتَوْعِبُ بنجاحٍ وتوازنٍ، أَوْسَعَ مَدَى للحقيقةِ، مَثَلُ هذا الرمزِ: صَنِيعُ الْمُتَصَوِّفِ والشَّاعِرِ الْمُوصُوفِ بِالكَمالِ المثالي (جيلبر (1994)، ص: 29). لا يَسْتَنِدُ الرَّمزُ إلى المباشرةِ، لأنَّهُ يُوحِي، ويُومِي، ويُثيرُ - ما نراه يجتذبُ الأشياءَ (بما فيها نحن، إن أذنا لأنفسنا أن نُجْتَذَبَ) إلى نفسه، فالرمزُ - إذا ما اسْتَحْدَمْنَا صورةً مُبَسَّطَةً- كُرَّةٌ ثَلْجِيَّةٌ تَتَدَخَّرُجُ، مُجْمَعَةٌ عَلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ تُصَادِفُهُ.

18- نسبية إدراك الأبعاد الرَّمْزية:

إِنَّ إِدْرَاكَنا للرمز ليس مطلقاً، لأننا غير كَمَلٍ، نرى هل نَجَاوِزُ 'الإنسانَ الكاملِ' (بالمنظورِ الصَوْفِيّ) هَذِهِ المعضلةُ؟ يَتَبَيَّنُ مِنْ بَعْضِ التَّعْرِيفَاتِ لِمَفْهُومِ 'الإنسانِ الكاملِ' قُدْرَةُ هذا الأخيرِ على اسْتِكْنَاءِ بَوَاطِنِ الرُّمُوزِ (اليعبودي (2013)، ص: 102). نرى ما هي المُقَارَبةُ الأُنْجَعُ في تأويلِ الرموزِ؟ وهل يُمكنُنا تَفْكِيكُ الرَّمزِ إلى سِمَاتٍ دلاليةٍ على النحو الذي نَحْجُه 'راستي' (Rastier) (1987) في إبرازِ جَوْهَرِ المَعْنَى واستِخْراجِ نَوَاتِهِ الأَصْلِيَّةِ؟

19- سلبيات تأويل الرموز بالاستناد إلى المقاربة التفكيكية:

مِنْ الواضِحِ - بالنَّظَرِ إلى تَعَدُّدِ المَقاصِدِ المُتَضَمِّنَةِ بِالرَّمزِ- أَنَّ مُقَارَبةَ تَفْكِيكِ هذه الوحدةِ إلى سِمَاتٍ دلاليةٍ وَالبَحْثِ عن السِّمَةِ المشتركةِ غيرُ ناجِعَةٍ في تحليلِ الرَّمزِ، خِلافاً لما رأينا في دراسَتِنَا لِلْمُشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ والمُصْطَلَحِيِّ (اليعبودي (2014)، ص: 50-74)، إذ يَتَأَكَّدُ اسْتِمَالُ المِصْطَلَحِ المُشْتَرَكِ على سِمَاتٍ دلاليةٍ حَاضِرَةٍ بِالْمَجَالَيْنِ العَرَفِيَيْنِ كما هو الحالُ في نَحْوِ القُلُوبِ وَنَحْوِ اللُّغَةِ. تَوْظِيْفُ الرُّمُوزِ إِنَّمَا هو "اسْتِخْدَامُ لِلُّغَةِ لا تُمَثِّلُ فِيهِ الكَلِمَاتُ مُصْطَلَحَاتٍ ذاتِ مَعْنَى ثَابِتٍ، بَلْ يُنْظَرُ إِلَيْهَا بوصفِها عناصرَ أساسيةَ في حَقْلِ اللُّقُوَّةِ، حيثُ تَأْخُذُ قِيَمَتَهَا مِنْ قِيَمَةِ الحَقْلِ جُمْلَةً" (Coulson (1970), p: 10)، كما لا يُمكنُ إِدْرَاكُ حَقِيقَةِ أيِّ جُزْءٍ مِنْ مَسْرَحِيَّاتِ 'شكسبير' إلى أن تَكْتَمِلَ مَشاھِدُ المَسْرَحِيَّةِ. إِنَّمَا قُصُورُ اللُّغَةِ الرَّمْزيةِ في الدِّقَّةِ فَقَطْ، وَلَكِنَّهُ، بِمَعْنَى آخَرٍ، انتِصَارُ لِلُّغَةِ (جيلبر (1994)، ص: 11).

لا يدعنا الرمز نَقِفُ جانباً، نترك الأشياء تُشيرُ إلينا، بلْ يَسْحَبُنَا سَحْبًا إلى تَجْرِبَتِهِ، وَهِيَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ تَجْرِبَةُ الرّامِزِ وعَالَمِهِ، شِعْرُ الرّمزِ لا مَحَالَةٌ "شِعْرُ لِقَاءٍ" (بارت (1992)، ص: 66). مِنَ الْمُؤَكَّدِ اسْتِحَالَةُ صِبَاغَةِ رُؤُوسِ هَذَا الْكُونِ وَتَجْلِيَاتِهِ دُونَ التَزَوُّدِ بِسِلَاحِ "الخيال".

20-ضوابطُ فَهْمِ الرّومِزِ الصّوفيّة:

ذَهَبَ الدّارِسُونَ لِلْعَةِ الْخِطَابِ الصّوْفِيِّ إِلَى أَنَّ فَتَحَ مَعَالِي الرّومِزِ الصّوفيّة يَتِمُّ بِنَهْجِ أَحَدِ الطَّرِيقَيْنِ: المشاركةُ الوجودانية، وَتَتَطَلَّبُ شَرْطَ الْإِيْتِمَانِ لَدَى كُلِّ مَنْ يَتَوَخَّى اسْتِكْشَافَ أبعادِ الرّمزِ الصّوْفِيِّ (حيدر آملِي، (1975)، ص: 455-489).

أ- تَوْظِيفُ آلِيَةِ التَّأْوِيلِ فِي مُعَالَجَةِ الرّمزِ الصّوْفِيِّ، يَوْصِفُهُ وَسِيلَةٌ تَقْنِيَّةٌ مِنْ وَسَائِلِ تَحْلِيلِ الْخِطَابِ الصّوْفِيِّ (حامد أبو زيد (1983)، ص: 195-232). (يجد القارئ تفصيلاً للنهجين في العبودي (2023)، ص: 177-180).

ب- لَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ اسْتِكْشَافَ آفَاقِ الرّومِزِ وَعَوَالِمِهَا الدَّلَالِيَّةِ لَا يَقِلُّ إِبْدَاعِيَّةً عَنْ عَمَلِيَّاتِ إِنْتَاجِهَا، بِمَا تَتَطَلَّبُهُ مِنْ جُوءٍ إِلَى 'التَّأْوِيلِ'، وَالْحِرْصِ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ عَلَى 'تَقْنِينِ' الْعَمَلِيَّةِ تَفَادِيًا لِلْسَّقُوطِ فِيْمَا سَمَاهُ 'إِيكُو' - الْمَدَافِعُ عَنْ حُقُوقِ الْمُؤَوَّلِينَ مِنْ 'مُحْطَمِي' الشِّفَرَاتِ - بِ: 'التَّأْوِيلِ الْمَفْرُطِ' (Eco (1992)). سَيُسْهِمُ الْحِرْصُ عَلَى مِرَاعَاةِ مَقَاصِدِ مُنْتِجِ هَذِهِ الرُّومُوزِ بِشَكْلِ كَبِيرٍ فِي إِجْرَاءِ التَقْنِينِ، الَّذِي بَيَّنَّ مَحْوَرِيَّتَهُ كَذَلِكَ الشَّيْخُ 'عَبْدُ الْكَرِيمِ الْجِيلِي' (ت 826 هـ) فِي كِتَابِهِ 'غُنْيَةُ أَرْبَابِ السَّمَاعِ'، بِغَرَضِ خَوْضِ غِمَارِ 'تَأْوِيلِ أَذْنِي' يُقْصِي التَّعَسُّفَ وَالتَّمَحُّلَ.

21-سُبُلُ تَقْنِينِ "التَّأْوِيلِ" مِنْ مَنْظُورِ 'الْجِيلِي':

قَدَّمَ الْعَارِفُ 'عَبْدُ الْكَرِيمِ الْجِيلِي' أَفْكَارًا هَامَةً فِي مَوْضُوعِ ضَبْطِ عَمَلِيَّاتِ التَّأْوِيلِ، بِالِاسْتِنَادِ إِلَى ضَرُورَةِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَبَاطِنِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِتَضَمُّنِ اللَّفْظِ (المصطلح / الرّمز) لِمَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَالتَّنْبِيهِ إِلَى أَهْمِيَّةِ مِرَاعَاةِ مَرْتَبَةِ الْمُتَلَقِّي (الْجِيلِي، (د-ت)، ورقة 6). يُشِيرُ 'الْجِيلِي' إِلَى فِكْرَةٍ جَوْهَرِيَّةٍ مَفَادُهَا اتِّحَادُ الْقَوْمِ فِي سَمَاعِ الْأَصْوَاتِ، وَتَبَايُنُهُمْ فِي إِدْرَاكِ الدَّلَالَاتِ، ذَلِكَ أَنَّ اخْتِلَافَ الْفُهْمِ إِنَّمَا يَنْتُجُ عَنْ تَعَدُّدِ الْمَقَامَاتِ، وَتَنَوُّعِ الْأَحْوَالِ، وَبِالتَّالِي عَنْ تَبَايُنِ أَقْدَارِ الْقَابِلِيَّاتِ، نَاقِلًا عَنْ اخْتِلَافِ التَّصَادُّمِ بَيْنَ التَّأْوِيلَاتِ (الْجِيلِي، (د-ت)، ورقة 8).

أَمَّا الْعَارِفُ - بَعْدَ طَوِيلِ مِرَاسٍ وَاحْتِكَائٍ بِالْأَلْفَاظِ الصَّنَاعِيَّةِ الْمُتَدَاوِلَةِ مِنْ لَدُنِ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ - أَنَّ تَعَدُّدَ التَّأْوِيلَاتِ وَاخْتِلَافَهَا رَاجِعٌ بِالْأَسَاسِ إِلَى تَعَدُّدِ أَحْوَالِ كُلِّ سَالِكٍ، وَتَبَايُنِ دَرَجَاتِهَا (نَفْسُ الْمَصْدَرِ، ورقة: 8-9). وَلَا شَكَّ أَنَّ صَاحِبَ 'الْغُنْيَةِ' يَعْلَمُ أَنَّ التَّسْلِيمَ

بتعدُّدِ التأويلاتِ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَفْتَحَ البابَ على مِصْرَاعَيْهِ لِإنتاجِ عَدَدٍ لا مُتناهِ مِنْ التَّرْجِيحاتِ، نَتِيجَةً تُعَدُّ مَقاماتِ الرُّهَادِ والْخِلافِ أخوانهم، وقد حاولَ الصَّوْفِيَّةُ حَصْرُها في مَكْتوباتِهِمْ، وهي تُناهِزُ المائةَ مقامٍ، فَكانَ الجِلييُّ مُلْزَمًا بِحَصْرِ عَمَلِيَّاتِ التَّأويلِ وَتَقْنِينِها، ما جَعَلَهُ يَحْتَرِلُ المَقاماتِ في أَرْبَعِ رُتَبٍ لا غير، (لِلناسِكِ، والسَّالِكِ، والمُحِبِّ، والمُجذوبِ)، لَأَنَّ 'النُّسك' يَشْمَلُ العِبَادَةَ والرُّهَادَ والمُتَوَكِّلِينَ، و'السلوك' يُنطَبِّقُ على أَهلِ فَصَدِ المخالِفاتِ، و'الحُب' يَضُمُّ المريدِينَ وسائرَ أَهلِ الطَلَبِ لله، و'الجذب' يَجْمَعُ الوَاصِلَ والغارِفَ (نفس المصنوع، ورقة 11).

يَجوزُ لنا أَنْ نَعْتَبِرَ أَنَّ دَعْوَةَ 'الجِليي' و'إيكو' إلى تَقْنِينِ عَمَلِيَّاتِ التَّأويلِ وَتَحْجِيمِها انتِصارًا لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ التَّأويلاتِ السَّليمةِ والتَّأويلاتِ الفاسِدةِ الواهِنَةِ، وقد سَبَقَ لابن القَيِّمِ الجُوزِيَّةُ أَنْ اسْتَعْرَضَ حالاتٍ تاريخيةَ قائِمةٍ نائِجةٍ عَنْ سِوَةِ التَّأويلِ (ابن القَيِّمِ 1991)، ص ص: 193، 194). ولا يَرى 'كيلر' الأمرَ على هذا النِّحوِ، وَهُوَ المُنَحَّمِسُ لِلتَّأويلاتِ المَفرطَةِ، إِذْ لا يَتَطَلَّبُ التَّأويلُ المَعْتَدِلُ -في نظره- الكَثِيرَ مِنَ التَّفْكِيرِ لإِصدارِ تَفْسيراتٍ تُرْضِي الجُمهورَ، بَيْنَما يَتَطَلَّبُ التَّأويلُ المَفرطُ (أو الإِفراطُ في الفَهمِ) قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الوَقْتِ والجُهدِ. (كيلر 2004)، ص ص: 171-192). وَمَا يُسَمَّى تَجْزُأ: 'التَّأويلُ المَفرطُ' ما هُوَ في اعتِقادِ الباحِثِ سِوَى مُحاولَةٍ لِرِبطِ نَصٍّ ما بِالآلياتِ العامَّةِ لِلسَّرِّدِ، عَنْ طَرِيقِ الإِنْشاءِ المَجازِييِّ، واسْتِخْضارِ الفِكرانيَّةِ (=الإيديولوجيا). (المرجع نفسه).

إِنَّ حَدِيثَ "إيكو" عَنِ التَّأويلاتِ المُقبُولَةِ والتَّأويلاتِ المِغالِيَةِ شَبِيهٌ بِتَمْيِيزِ الأُصولِيِّينَ بَيْنَ التَّأويلاتِ القَرِيبَةِ والتَّأويلاتِ البعيدَةِ، تَتَرَجَّحُ الأُولَى بِأَدْنَى مُرَجِّحٍ، بَيْنَما تَتَضَمَّنُ الثَّانِيَةِ اِحتمالاتٍ بعيدَةً غَيْرَ أَهْمًا غَيْرَ مَرْفُوضَةٍ مُطْلَقًا.

وَإِذا كانَ لا بُدَّ مِنَ الأخْذِ بِنَهْجِ 'الجِليي' في سَنِّ صَوائِبِ القِراءةِ، فَإِنَّ ما يَتَرْتَّبُ عَنْهُ: اسْتِغْصاءُ إِدراكِ دِلالاتِ الرُّمُوزِ الصَّادِرَةِ عَنِ المُنصَوِّفِ، في حالِ اِختِلافِ مَقامِ المُتلَقِّ عَنِ مَقامِ المُلقِّي، وَمَنائِرِ مَقامِ السَّالِكِ عَنِ مَقامِ العارِفِ، وَمَقامِ هذا الأخيرِ عَنِ مَقامِ المُحِبِّ، الَّذِي مَقامُهُ بَدَوْرُهُ دُونَ مَقامِ المُجذوبِ. ف"فِعْلُ القِراءةِ هُوَ إِجْراءٌ تَبادُلِيٌّ صَعْبٌ بَيْنَ كِفاةِ القارِئِ (العالمِ المُعْرِئِ للقارِئِ) وَنَوْغِ الكِفاةِ الَّتِي يَفْتَرِضُها النِّصُّ (..) لِكَيْ تَتِمَّ قِراءَتُهُ بِطَرِيقَةٍ اِقْتِصادِيَّةٍ" (إيكو، 2009)، ص: 86).

22-تعدُّدُ الأبعادِ الدلالية للرمز بتعدُّدِ سياقاته:

اتَّسَمَتْ تَعْرِيفاتُ معاجِمِ المِصْطَلَحاتِ الصَّوْفِيَّةِ بِالتَّعَدُّدِ أحيانًا، وبِالتَّبائُلِ بَيْنَ صَوْفِيٍّ وَآخَرَ، أَوْ بَيْنَ مَتْنٍ وَآخَرَ، لِنَفْسِ الصَّوْفِي أَحيانًا، مِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّ السِّياقَ هُوَ العامِلُ الحاسِمُ في ضَبْطِ هُويَّةِ المِصْطَلَح- الرَّمْزِ الصَّوْفِيِّ، وَمَا كانَ ذَلِكَ لِيُخَفِّىَ على مُفَكِّرٍ مِنْ طِينَةِ "زكي نجيب محمود" الَّذِي اسْتَنْكَرَ تَرَدُّدَ صاحِبِ "تَرْجُمانِ الأشواقِ" في تَحْديدِ دِلالَةِ الرَّمْزِ (مذكور (إشراف) 1969)، ص: 71).

ليست خصوصية التجربة السلوكية وخذها المبرزة لتعدد أبعاد الرمز الدلالية، إنما يُضاف إلى ذلك تفرُّد الاستعمال بسياق خاص بما يُؤلِّد أفقا دلاليًا جديدًا، ذلك ما نلاحظه بتصفُّح المعاجم والقواميس والموسوعات التي رصَدَت عوالم المصطلحات الصوفية.

23- خلاصات:

- لا يرتبط توقُّع عمليات التأويل فقط بالتوافق في استعمال التسمية أو المصطلح؛ إنما يرتبط أيضًا بتفسيُّس التعريفات، فلا فائدة تُرجى من اتفاق يقف عند حدود العنونة دونما عناية بمكوناتها وحدود امتداداتها.

- لا شك أن ظاهرة التكتيف الرمزي في النص الصوفي التراثي توازيها ظاهرة انصهار الثقافات والمزج بين اللغات (Ben Jelloun 2007-21-20 pp.).

من ضمن الاقتراحات التي نعتبرها رئيسة لتجاوز معضلات التأويل:

- يلزم المؤول - بتوجيه رفع تحديات تأويل النص الأصلي - تحديد نوع التأويل الذي سيستند إليه في مجابهة ملفوظات النص، ويُنتظر منه قبل ذلك تحديد أغراض التأويل ورصد أبعاد النشاط التأويلي ومداه.

- من الضروري الحرص على استبعاد التَّحْمِين والتَّكْهِن في النشاط التأويلي المرتبط بالنص الأصلي، ولا سبيل إلى ذلك سوى باعتبار سياقات الملفوظات.

- أهمية الوعي بعدم وجود تأويلات نهائية بإمكانها إلغاء القيام بمراجعات جديدة لنفس ملفوظات النص. (Gresset 1983) (501-519).

* هوامش:

(أ) يلاحظ تواجد مصطلحين في الفكر الغربي يميلان إلى النشاط التأويلي: مصطلح "Interprétation" ومصطلح "Herméneutique". ونأيا عن الخلط والتعدد المفرداتي خصصت اللفظة الأولى للممارسة التأويلية والثانية للعلم الذي ينظر في قوانين التأويل سواء تعلق الأمر بميرمينوطيقا الإيمان، أم بميرمينوطيقا الشك التي خلصت النصوص الدينية من قداستها وعالجتها باعتبارها لا تختلف عن سائر النصوص التاريخية. (يراجع: جاسر، 2007، ص: 24-25). وبذلك خرج النشاط التأويلي من إطار المحيط الكلامي واللاهوتي ليلج عالم الفلسفة، ويعم بعدئذ سائر العلوم التي تفرعت عنه. بينما يكمن الفرق بين المفهومين - من وجهة نظر ريكورية - أن الأول يخص النشاط العقلي المبذول لتحويل معنى ظاهر أو مجازي إلى معنى باطني أو حقيقي في حين يدل الثاني على استكشاف كينونة الكائن عبر تأويل ملفوظاته في الوجود.

Paul Ricœur (1969) ; p : 14.
نعين بالفكر الصوفي أيضا تمييزا بين مفهومي "التأويل" و"علم التأويل"، يعتبر الثاني: علم الباطن لا يتأتى إلا بعد تحصيل الولاية، وهو أصل علم الشريعة وروحه، ولا مخالفة بينهما إلا عند أهل الحجاب. (بالي أفندي (1309)، ص 56.

(ب) تكاد مبادئ المدرسة التفكيكية في موضوع التأويل تتماهى مع الأفكار الهرمسية التي اعتبرت النص حاضنا لمختلف المعاني مهما كانت متضاربة ومتعارضة، وهي تحايت إلى حد كبير مقولة "السيمبوزيس" اللامتناهية.

(ت) من أنماط الدلالات: هناك العامة والخاصة، والعبارة والإشارة والنصبة والاقتضائية.
(ث) يُشكك مناصرو تقنين التأويل في الارتكان إلى حدس المتكلم للحسم في المعنى الراجح، ولا شك أن "إمبرتو إيكو" من رواد التشكيك في الحدس، كما يبين من قوله: "لن يمتنع المرء عن شرح بعالم تشفير الجملة، فإنه يعجز عن إيجاد شرح واحد يبطال النص بجممله، فلا يبقى لنا سوى أن نلجأ، لجوءا عبثيا، إلى حدس المتكلم (وهو حل غير ملائم يستلزم من كل نظرية سيميائية جادة تجنب اللجوء إليه تجنبا مطلقا، فما تسعى إليه كل نظرية سيميائية هو أن تشرح كيفية اشتغال حدس المتكلم مع تفسيرها بعبارات غير حدسية)". إيكو (1996)، ص: 24 بتصرف.

(ج) يشير إمبرتو إيكو إلى وظيفة التأويل التأصيلية وإلى نشوة المؤول في ممارساته التأويلية قائلا: "يرجع التمتع بالأثر الفني إلى كوننا نعطيهِ تأويلا ونمنحه تنفيذا ونعيد إحياءه في صيغة أصيلة".

Eco (1965), P: 16.

(ح) من فرط الافتراق بين الفهم والتأويل أحدث أصحاب المقاربة الرومانسية في التأويل (أقصد بالأساس: 'دلتي' و'شليرماخر') مطابقة بينهما، ولا شك من هنات هاته المطابقة تقييد عملية التأويل في إطار نزعة نفسية وربطها بطبيعة استجابة المتلقي. ريكور، (2006)، ص: 57.

(خ) يشكل التمييز بين الدالتين "المصادقية" (Dénotation) والإيحائية (Connotation) امتدادا للتمييز بين اللغة المعرفية واللغة الانفعالية، في هذا السياق ينتقد 'بول ريكور' معالجة الدارسين مسائل الدلالة الأولى من منطلق علم الدلالة بينما تدارسوا مسائل الدلالة الثانية من خارج علم الدلالة (من زاوية نفسية) لاشتمالها على الانفعالات، ويؤكد الباحث أن كلا الدالتين تنتميان لعوالم علم الدلالة. (نفس المرجع، ص: 85).

(د) نعتت الباحثة 'كريستين بروك-روز' الأصناف النصية الثلاثة بالمصطلحات التالية:

"Overdetermined" = "محددة بإفراط"

"Underdetermined" = "محددة باعتدال"

"Nondetermined" = "غير محددة" (روز (2007)، ص: 146)

وترى بأن المؤلف يعتبر في الحالة الأولى القارئ جاهلا، لذا يمدّه بجميع المعلومات، وهو قارئ منوّم (Hypnocrite) كما تعكس النصوص المحددة تحديدا أقلّ في ميل الكاتب إلى الغموض وتقديره لذكاء القارئ المولع برفع اللبس، بينما تتوجه النصوص المندرجة ضمن نطاق النوع الثالث إلى قارئ مدقق (Hypocrite)، مثال ذلك قارئ الرواية البوليسية. (نفس المرجع السابق).

(ذ) يتلاءم الضابط الثاني للأصوليين مع تعريف الباحث 'ستانلي فيش' للقارئ، فهو قارئ مخبر (Informed Reader) عارف بلغة النص المقروء مدرك لدلالته، يتوفر على ملكة أدبية. Fish (1970), p p: 140-141.

(ر) أورد 'الجيلي' في موضوع ضرورة الرمز، ودوره في حصول عملية الفهم قوله: "من المعاني ما لا يفهم إلا لغزا أو إشارة، فلو دُكر مُصْرَحًا لحال الفهم به عن محله إلى خلافه فيمتنع بذلك حصول المطلوب". (الجيلي (1997)، ص: 11).

(ز) قائلا: "والله يعصم قارئ هذا الديوان من سبق خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس الأبية والهمم العلية المتعلقة بالأمور السماوية". (ابن عربي، (1968)، صفحة: ز).

*** قائمة المصادر والمراجع:**
° باللغة العربية:

- أبو زيد نصر حامد (1983)، فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند ابن عربي، الطبعة الأولى، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- آملي سيد حيدر (1975)، المقدمات من كتاب نص الفصوص في شرح فصوص الحكم، تقديم وتصحيح وفهرسة: هنري كوربان، عثمان يحيى، طهران، 1353 هـ.
- آيزر فولفغانغ (2004)، التفاعل بين النص والقارئ، ضمن أبحاث كتاب: القارئ في النص.
- إيكو إمبرتو (1996): القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة أنطون أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى.
- إيكو إمبرتو (2001)، الأثر المفتوح، ترجمة د، عبد الرحمن بوعلي، الطبعة الثانية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا.
- إيكو إمبرتو (2004)، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم، سعيد بنكراد، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- إيكو إمبرتو (2009)، التأويل والتأويل المفرط، ترجمة ناصر الحلواني، الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاري.
- بالي أفندي الشيخ (1309) شرح فصوص الحكم، طبعة عثمانية، دار سعادة.
- ابن القيم الجوزية (1991)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق عبد السلام إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، مصر.
- ابن عربي (1985)، الفتوحات المكية - تحقيق عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ابن عربي محيي الدين (1968)، ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، تحقيق، محمد عبد الرحمن الكردي، دار بيبليون، باريس، 1388 هـ.
- ابن عياد محمد (1998)، التلقي والتأويل، مدخل نظري، بحث منشور بمجلة "علامات"، مكناس، المغرب، العدد العاشر.
- بارت روبرت اليسوعي (1992)، الخيال الرمزي، كولريديج والتقليد الرومانسي، ترجمة عيسى علي العاكوب، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان.
- البوريني حسن، عبد الغني النابلسي (2003)، شرح ديوان ابن الفارض، ضبط وتصحيح: عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى.

- بيومي مدكور ابراهيم (إشراف) (1969)، الكتاب التذكاري، ابن عربي الذكرى المئوية الثامنة لميلاده ، دار الكتاب العربي، القاهرة.
- التلمساني الشريف (1998)، مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول، تحقيق علي فركوس، طبعة المكتبة المكية، بيروت.
- تودوروف تزفيتان (2004)، القراءة بناء، ضمن أبحاث كتاب: سوزان كريستين سليمان، إنجي كروسمان (2004)، القارئ في النص، مقالات في الجمهور والتأويل، ترجمة حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان.
- جاسبر ديفيد (2007)، مقدمة في الهيرمينوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، منشورات الاختلاف الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى.
- الجويني (1996)، التلخيص في أصول الفقه، تحقيق النيبالي والعمرى، دار البشائر، بيروت.
- الجيلي عبد الكريم (1997)، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- الجيلي عبد الكريم (د، ت)، غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوه الاستماع، ورقة 6 من المخطوط. الخزانة الملكية بالرباط، رقم: 3/1747.
- ابن عربي (1992)، الفتوحات المكية، الباب الرابع والخمسون: في معرفة الاشارات، تحقيق: عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن عربي (1853م)، الفتوحات المكية، طبعة مصر.
- الحكيم سعاد (1981)، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- الحكيم سعاد (2004)، إبداع الكتابة وكتابة الإبداع، دار البraq، العراق .
- دوران جيلبر (1994)، الخيال الرمزي، ترجمة علي المصري، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، مصر.
- الرازي، فخر الدين (1422هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ريكور بول (2001)، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة، حسان بورقية، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر.
- ريكور بول (2005)، صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية ، ترجمة منذر عياشي، مراجعة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

- ريكور بول (2006)، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي.
- الزين شوقي (2002)، تأويلات وتفكيكات، المركز الثقافي العربي، البيضاء، بيروت.
- زيدان يوسف (1998)، الفكر الصوفي بين عبد الكريم الجيلي وكبار الصوفية، الطبعة الثانية، دار الأمين، مصر.
- السرخسي، (1414 هـ)، أصول السرخسي، تح: أبو الوفا الأفغاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- سليمان سوزان كريستين ، إنجي كروسمان(2004)، القارئ في النص، مقالات في الجمهور والتأويل، ترجمة حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان.
- الشاطي (1997)، الموافقات في أصول الشريعة، ضبط: 'أبو عبدة مشهور بن حسن'، الطبعة الأولى، دار بن عفان، العربية السعودية.
- الشيرازي أبو إسحاق (1995)، اللمع في أصول الفقه، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى.
- طه عبد الرحمن (1995)، فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت.
- الغزالي أبو حامد (1997)، المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد بن سليمان الأشقر، طبعة دار الأرقم، بيروت، لبنان.
- الغزالي أبو حامد (2010)، روضة الطالبين ، دار المقطم، مصر. تحقيق: أبو سهل نجاح عوض صيام، الطبعة الأولى.
- فوكو ميشيل(2008) ، جينالوجيا المعرفة ، ترجمة أحمد السطاطي، وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، البيضاء، الطبعة الثانية.
- كيلر جوناثان (2004)، دفاعا عن التأويل المضاعف، ضمن كتاب امبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان.
- كيلر جوناثان (2007)، مقدمات لنظرية في القراءة، ضمن أبحاث كتاب: القارئ في النص.
- كريستين بروك- روز (2007)، قارئية الإنسان، ضمن أبحاث كتاب: سوزان كريستين سليمان، إنجي - - كروسمان، القارئ في النص، مقالات في الجمهور والتأويل، ترجمة حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان.
- لينهاردت جاك (2007) ، نحو عل اجتماع للقراءة، ضمن أبحاث كتاب: القارئ في النص.
- ماراندا بيير (2007)، جدل الاستعارة، مقالة أنثروبولوجية في التأويلية، ضمن أبحاث كتاب: القارئ في النص.

- النفري (1935)، كتاب المواقف والمخاطبات، تصحيح، آرثر يوحنا آربري، مكتبة المتنبي، القاهرة، طبعة أولى.
- مرتاض عبد المالك (2000)، التأويلية بين المقدّس والمدنّس، بحث منشور بمجلة : عالم الفكر، المجلد: 29، العدد: 1، سبتمبر.
- اليعبودي خالد (2013)، أسامي العلوم بين الإرثية والكسبية، مقدمات في المعرفة الصوفية، مجلة مصطلحيات، عدد مزدوج، الرابع-الخامس نونبر.
- اليعبودي خالد (2014)، التداخل المصطلحي في الخطاب الصوفي، مديّل ب' قاموس المشترك في اللغة الصوفية' أو نحو القلوب الأكبر، مطبعة أميمة، الطبعة الأولى، فاس.
- اليعبودي خالد (2014)، أبعاد مفهوم "التحويل" وآفاقه في الترجمة المتخصصة من منظور "طه عبد الرحمن" ومنظري الترجمة الغربيين (مدخل إلى استثمار "الصوغ المصطلحي الجديد" في الترجمة)، مداخلة بمؤتمر : "الإبداع الفكري بين النظرة التكاملية للعلوم والمنظور التأثيلي لاستشكال المفاهيم"، 26-27 فبراير، كلية الآداب، جامعة ابن زهر، أكادير.
- اليعبودي خالد (2014)، "النص المزدوج وأبعاد الفهم والقراءة والتأويل". مشاركة بمؤتمر «النص والمناهج» بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن عبد الله، 22-23 يناير 2014.
- اليعبودي خالد (2014)، الأبعاد الرمزية في الاصطلاحات الصوفية مدخل إلى رفع الحُجُب عن مخدّرات المعاني، مجلة مصطلحيات، العدد السادس. ص ص: 159-232.

° باللغات الأجنبية:

- Barthes Roland (1963); Sur Racine, Avant-propos, éd Seuil.
- Barthes Roland (1964), L'activité structurale, in: Essais critiques, Paris.
- Ben Jelloun Tahar (2007), On ne parle pas le francophone in Le Monde Diplomatique, mai-pp. 20 -21. URL: http://www.monde-diplomatique.fr/2007/05/BEN_JELLOUN/14715.
- Bianchi- Vassallo (2015), Introduction: Umberto Eco's interpretative semiotics, Semiotica 2015; 206: 5-11- DOI 10.1515/sem-2015-0017
- Coulson John (1970), Newman and the Common tradition: A study in the language of church and society, oxford, Clarendon press.
- Djaballah Amar (2005-2006) ; L'herméneutique selon Hans-George Gadamer, in Rvue : « Théologie évangélique », V 4, N°2, pp : 65-78/ Vol° : 5 N° :1, pp : 31-68.
- Ducrot & Todorov (1972). Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Editions Seuil.

- Eco Umberto (1965), *L'œuvre ouverte*, traduction : Chantal Roux de Bézieux & André Boucourechliev, éditions de Seuil.
- Eco Umberto (1990), *Les limites de l'interprétation*, édition Grasset.
- Eco Umberto (1992), *Interpretation and over- interpretation*; Cambridge University Press.
- Gadamer ; Hans-Georg (1976), *Vérité et méthode*, b) *Le concept d'expérience et l'essence de l'expérience herméneutique*, c) *La primauté herméneutique de la question*, trad. Etienne Sacre, Seuil.
- Gadamer H-G (1996); *La philosophie Herméneutique*; Collection Epiméthée, Paris-PUF.
- Gilli Yves, (1983) ; « *Le texte et sa lecture. Une analyse de l'acte de lire selon W. Iser* », Semen 1, mis en ligne le 21 août 2007, consulté le 11 novembre 2017. URL : <http://semen.revues.org/4261>.
- Gisel Tubingen, pierre (1970) ; *Le conflit des interprétations*, in revue : *Esprit*, Novembre ; N° 397, pp : 776–784.
- Greimas Algirdas Julien (2012), *Du sens, Essais sémiotiques*, éd. Seuil, Paris.
- Gresset Michel (1983) ; *De la traduction de la métaphore littéraire à la traduction comme métaphore de l'écriture*, *Revue Française d'études américaines*, N° : 18. ; 501-519.
- Girod Robert (1970) ; *Origène, Commentaire de l'Evangile selon Matthieu (Introduction, Traduction et Notes)*, Paris, Coll. Sources Chrétiennes.
- Green (1969) ; *Un œil en trope Le complexe d'Œdipe dans la tragédie* -Collection Critique.
- Grondin Jean (2011), *La rencontre de la deconstruction et de l'herméneutique*, in: Matéi, J, F (Direction) (2011); *Philosopher en Français*, Paris, PUF, pp:235-246.
- Hester Marius (1967); *The Meaning of poetic metaphor*, Lahaye ; Mouton.
- Husserl Edmund (1953), *Méditations cartésiennes*, Medz, Paris, Vrin.
www.appareil.revues.org/1187.
- Iser Wolfgang, (1981) «*Les problèmes de la théorie contemporaine de la littérature : l'imaginaire et les concepts clefs de l'époque*» , in : *Revue Critique* Numéro 413.
- Iser Wolfgang (1985) ; *L'Acte de lecture : théorie de l'effet esthétique* ; Editions Mardaga, France.
- Jakobson Roman (1963), *Essais de linguistique générale*, éd, Minuit.
- Jauss, Hans Robert (1988) ; *Pour une Herméneutique littéraire*, Traduit par : Maurice Jacob, Edition Gallimard, pp : 366-367.
- Molino Jean (1989) ; *Interpréter* ; in : *L'interprétation des textes*, éd Minuit ; Paris.

- Nietzsche (1969, 1975), *On the genealogy of Morals*, trans. Walter Kaufman & J. Hollingdale (New York 1969), 77-78 quoted in Edward Said, *Beginning: Intention and method* (New York 1975), 175.
- Rastier François (1987) ; *Sémantique interprétative. Formes sémiotiques*. Presses Universitaires de France, Paris.
- Ricœur Paul (1969) ; *Les conflits des interprétations*, éditions Seuil ; Paris.
- Ricœur Paul (2002), *Del Texto a la acción, Ensayos de hermenéutica II*, trad : Pablo Corona, segunda edición, Fondo de Cultura Económica, México.
- Risser, James (1997), *Hermeneutics between Gadamer and Heidegger*, in: *Philosophy Today*; 41, pp: 134-138.
- Schleiermacher Friedrich (1987); *Herméneutique*, Traduit par: Berner Christian, Editions Cerf, Paris.
- Schmidt, S. (1976). *Texttheorie*. München: Fink.
- Slatoff, W. (1970), *With respect to readers: dimensions of literary Response* (Ithaca).
- Sontag (1969); *Against Interpretation* (New York, Paperback).
- Stanley Fish (1970); *Literature in the reader, Affective stylistics*, in: *New Literary history*, Vol. 2, No. 1, A Symposium on Literary History.
- Todorov Tzvetan (1967) ; *Littérature et signification*, ed Larousse.
- Travis Charles (2010), *Thought's Social Nature | Ordinary Language*. The European Journal of Philosophy has just published. Vol. 19, No. 4606–585- pp: 585-606.
- Trouvé, Alain (2010) ; *l'arrière- texte : de l'auteur au lecteur* ; in : *Poétique*, V : 4 ; N°164, pp : 495-509.
- Verreault, F. & Pelletier, M. (1998). *L'interprétation des œuvres d'art : proposition d'une démarche*. *Revue des sciences de l'éducation*, 24(3), 541–565. <https://doi.org/10.7202/031971ar>
- Weill Marie-Davis (2013), *Le Discernement des esprits chez Saint Jean Cassien*, in revue : *Vies Consacrées*, N° 85.
- Woolf Virginia (1975), *The common Reader*, First series (London).
- Zenetti Marie-Jeanne (2011) ; « *Transparence, Opacité, matité*, Dans l'œuvre de Roland Barthes », in revue « *Appareil* », N°
